# أثر السياق في اصطفاء أحد المصادر المتعددة للفعل الواحد في القرآن الكريم

بقلم

**د. نصر سعيد عبد المقصود حسن علي**
**أستاذ القراءات القرآنية وعلومها المساعد**
**كلية القرآن الكريم بطنطا**

**١٤٤٠هـ = ٢٠١٨م**

## ملخص البحث

هذا البحث بعنوان:

(**أثر السياق في اصطفاء أحد المصادرالمتعددة للفعل الواحد في القرآن الكريم**)

وهو يحاول الكشف عن بعض أسرار السياق القرآني في بعض الألفاظ، التي يظن أن دلالتها واحدة، في سياقاتها المتعددة.

و إذا كان من خصائص اللغة العربية كثرةُ مفرداتها، وسعة معانيها، فإن من قواعدها أنه كلما اختلفت حروف الكلمات تنوعت معانيها، وكلما تقاربت حروفها تقاربت معانيها، وهذا معروف، ومشهور، غير أن اتفاق المادة اللغوية في الكلمات، يجعل البحث في الفروق اللغوية صعبا؛ بل قد يوحي باتفاقها في المعنىٰ، وهذا ما ذكره بعضهم.

فقالوا عن مصدرين لفعل واحد :"هما بمعنىً واحد"، وذلك نحو:(قَوْل وقِيل)، و (العُتو والعِتي)، و(الرَّجْع والرُّجْعىٰ)، و(الجّدَل والجِدال)، و(النَشْر والنُّشُور).

وما دفعهم إلىٰ ذلك إلا النظر في المعاني الخاصة بالمفردات، دون السياق، وإلا فهو الداعي إلىٰ اختيار هذا دون ذاك، كما أنه الداعي إلىٰ اختلاف الصيغ، و اختيار الأنسب والأدق.

وكان لاختلاف الصيغ أثر في الوقوف علىٰ الفروق بين المصدر الأصل، والمصدر الميمي، وبين المصدر واسم المصدر، واختلافهم في هذا، وما يلزمه من معنىٰ متعلق بالسياق.

هذا، وقد توصل البحث إلىٰ أهم مظاهر تعدد مصادر الفعل الواحد في القرآن الكريم، و أسباب تعدده، وغير ذلك، والله ولي التوفيق.

Research Summary

This research, entitled "The Contextual Effect of Selecting One of the Multiple Sources of One Action in the Holy Quran", attempts to reveal some of the mysteries of the Qur'anic context in some words, which are thought to be of the same significance in their various contexts.

And if the characteristics of the Arabic language and the abundance of vocabulary, and the meanings of their meanings, it is from the rules that the different letters of words varied meanings, and the closer the letters converged meanings, and this is known, and famous, but the agreement of linguistic material in the words, makes the search in linguistic differences difficult; But may suggest their agreement in meaning, and this is what some of them said.

And they said about the two sources of one action: "They are in one sense", and this is about: (say and say), (Alto and Alta), and (reaction and reaction), and (controversy and controversy), and (publication and publication).

What led them to do so was to look at the meanings of the vocabulary, without the context, otherwise it is called to choose this without the other, and that the call for different formulas, and the choice of the most appropriate and accurate.

The differences in formulas have had an impact on the differences between the source, the source, the source and the source, their differences, and the contextual meaning.

This research has reached the most important manifestations of the multiplicity of sources of the single act in the Holy Quran, the reasons for its multiplicity, and so on, and God is the guardian of success.

# المقدمة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده، سيدنا محمد بن عبد الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن والاه،..وبعد،

فإن البحث في القرآن الكريم عمل مبارك، فلا تكاد قطوفه تدنو لمن منه دَنا، حتىٰ ترىٰ بذور ثماره تعلو لمن ترك الدُّنا، فمهما تشربْ من معينه لا ينقُص ماؤه؛ إذْ كلما أُخذ منه شيءٌ خلفَه أضعافُه، فالسباحة في بحره الزخار راحة، والسياحة في فنونه وأفنانه متاحة، يدفع صاحبه إلىٰ المزيد، وكلما كاد ينتهي من شيء ناداه من بعيد: هل من مزيد؟

ولئن كان العربي-قديما- قد عرَف للكلمة قيمتها، وأثرها، وقدَّرها حقَّ قدرها، حتىٰ إنه ليدرك بفطرته السوية ما يأباه الذوق ويخالف الطبع من الكلمات، حين تقع في غير موقعها، أو تستعمل أخرىٰ مكانها، فإن القرآن الكريم كلام الله تعالىٰ، وللكلمة في القرآن الكريم منزلة عظيمة، وقيمة كبرىٰ، ومكانة سامية؛ ذلك بأن الكلمة هي إحدىٰ لبنات هذا البناء المحكم المتماسك المعجز، والأصل الذي يدور عليه المعنىٰ، ويحدده السياق تحديدا دقيقا.

فها هو ذا النابغة الذبياني ينكر علىٰ حسان بن ثابت – رضي الله عنه – عدمَ مراعاته اختيار الألفاظ التي تلائم السياق، وتوافق المقام، حين أنشده مادحًا قومه:

لَنَا الجَفَنَاتُ الغُرُّ يَلْمَعْنَ فِي الضُّحَىٰ ∴ وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمَا

فقال له النابغة منكرًا: يا ابن أخي، لقد أقللتَ جفانك وأسيافك، ما هكذا تقول، قلتَ: (لنا الجفنات)، ولو قلتَ: (الجفان)، لكان أكثر – لأن (الجفنات) جمع قلة، و(الجفان) جمع كثرة ـ وقلت: أسيافنا، والأسياف دون العشرة، ولو قلت: سيوفنا لكان أكثر، وقلتَ: (يلمعن في الضحىٰ)، ولو قلت: (يسطعن في

الدجىٰ) لكان أبلغ؛ لأن الضيف أكثر ما يكون ليلًا - وقلت: (يقطرن)، ولو قلت: (يجرين)، لكان أولىٰ.

وسواء أصح إنكار النابغة أم لم يصح[1]، فإنه لدليل علىٰ أثر السياق في اختيار الألفاظ الملائمة والمتناسقة.

**أهمية البحث وأهدافه :**

إذا كان للكلمة هذا الشأن الكبير عند العرب، فإن القرآن العظيم أبلغ في النظم، وأعظم في البيان، وقد اعترف المنصفون من الأعداء ببلاغته، وفصاحته، وقال أحدهم: إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمغدق، وإنه يعلو ولا يُعلىٰ عليه، وما هو بقول بشر.

ومما دفعني إلىٰ البحث في ألفاظ القرآن الكريم دقة اختيار ألفاظه، وتناسبها مع السياق.

فبينا أنا أقرأ في كتب التفسير، إذ تكررت عبارة أوقفتني، وهي قولهم - في مصدرين مختلفين في الصيغة-:"هما بمعنىً واحد"، وذلك نحو:(قول وقيل)، و (العتو والعتي)، و(الرجع والرجعىٰ)، و(الجدل والجدال)، و(النشر والنشور).

---

(١) حيث جمعُوا

(١) أنكر بعضهم هذه القصة برمتها، كما ذكر صاحب خزانة الأدب ٨/ ١٠٧،١٠٦. كما انتصر بعض العلماء لحسان بن ثابت، و ذكر وجه بلاغته، ومن ذلك: أن جمع المؤنث السالم لا يدل علىٰ القلة مطلقا، فقد يدل علىٰ الكثرة، كما جاء في القرآن من (الجنات) و(الغرفات)، وكذا وزن(أفعال) في أسياف، قد يدل علىٰ الكثرة، نحو (أنهار)، وقد يكون المراد: (جفنات وأسياف)خاصة، ليس لها مثيل عند أحد، وهذه الخصوصية لا تتعارض مع الكثرة، واللمعان في الضحي يدل علىٰ عظم الشيء الذي يلمع؛ لأن أقل الأشياء تلمع في الدجي، مثل ضوء الشمعة ونحوها، و(يقطرن) أبلغ من يجرين في سياق الضرب بالسيوف؛ لأن السيف الذي يقطر دما سيف مضاء يختلس الأرواح اختلاسا سريعا، فلا يعلق به دم كثير.

فلم أرتض هذا القول، بيد أن القائلين به يُعَدُّون من العلماء الأثبات، وقد نقله عنهم رجال راسخون في العلم، وإن مثَلي ومَثلَهم كالبَقْل في أصول النَّخْل.

ولا أشك قِيد أنملة في دقة القرآن الكريم وإحكامه، كما أنني حَسَنُ الظَّنِ بهؤلاء العظماء، وأنهم يقصدون من كون المصدرين، أو المصادر بمعنىً واحد، أي: بالنظر إلىٰ المعاني المفردة للألفاظ، دون النظر إلىٰ السياق، وإلا فالسياق هو الداعي إلىٰ اختيار هذا دون ذاك .

**مشكلة البحث:**

تكمن مشكلة البحث في محاولة الكشف عن السر في اصطفاء القرآن الكريم لمصدر من بين المصادر المتعددة، ولابد لكل سر من مفتاح، وأنىٰ لمثلي أن يمسك به، لولا تعلقي بسباحين مهرة، يجيدون الغوص في خضم المحيط، وهم بدعاء الإمام الشاطبي لجديرون:

جَزَىٰ اللهُ بِالْخَيْرَاتِ عَنَّا أَئِمَّةً ∴ لَنَا نَقَلُوا القُرْآنَ عَذْبًا وَسَلْسَلاَ

ولعل القارئ الكريم يظن أنني سأتناول الفروق الدلالية في الألفاظ المترادفة، و هذا –لاشك- موضوع جِدُّ عظيم، ولكنه مطروق من قبل، و لا يزال العلماء فيه يكتبون، ولكن هناك موضوعا آخر، يُعد – من وجهة نظري- أدق و أرق، وهو أن يكون للفعل الواحد عدة مصادر، فترىٰ أحدها في سياق، والآخر في سياق آخر، وهما أخوان شقيقان، وإن كانت ملامحهما متشابهة، ولكنها ليست متماثلة، فأطلقت علىٰ هذا الموضوع اسما، أرجو أن يوافق مسماه، وأن ينال من الله رضاه! ، وعنونته بـ:

**(السياق ومناسبة أحد مصادر الفعل المتعددة في القرآن الكريم)**

واستخرت الله تعالىٰ في الكتابة في هذا الموضوع الجليل، فوجدت تيسيرا عجيبا، وفتحا مبينا،- ولم أرَ-علىٰ حد علمي- من تناول هذا الموضوع بالبحث، فقرعت أبواب مشايخي، فألفيتهم كرماء، لم يبخلوا بجمع المصادر

الواردة في القرآن الكريم، غير أنها في حاجة إلىٰ التثبت من أفعالها؛ إذ إن شرط البحث أن تكون المصادر المتعددة لفعل واحد، فإذا اختلف الفعل رُدَّ كلُّ مصدرٍ إلىٰ فعله، ولم يكن ثَمَّةَ تعددٌ.

ورأيت الطريق الأمثل والأسلم إلىٰ الوصول إلىٰ المأمول هو اتخاذ السياق حَكَما في اختلاف صيغ المصادر، وكلما ساءلت نفسي تلكم الأسئلة أشعلت جذوة البحث: ما السر –مثلا– في مجيء (البغي) في موضع، و(البغاء) في موضع آخر؟، وما أثر السياق في وقوع (الجدل) في موضع، و(الجدال) في موضع آخر؟ و (إياب) في آية و(مآب) في آية أخرىٰ؟ وهكذا!.

وكان لاختلاف الصيغ أثر في الوقوف علىٰ الفروق بين المصدر الأصل، والمصدر الميمي، وبين المصدر واسم المصدر، واختلافهم في هذا، وما يلزمه من معنىٰ متعلق بالسياق.

**منهج البحث:**

اتخذت المنهج الوصفي التحليلي في دراسة ظاهرة تعدد المصادر للفعل الواحد، واختلاف سياقاتها، كما هي موجودةٌ في القرآن الكريم، ووصفها وصفًا دقيقًا خاليًا من الإفراط أو التفريط، عن طريق وضع تعريف لها، ثم ذكر أسبابها وخصائصها وصفاتها ونتائجها، وأثرها كيفًا وكمًّا، وأثر السياق في اختيارها في مواضعها، ومدىٰ ارتباط هذه الظاهرة بغيرها من الظواهر الأخرىٰ.

واقتضت طبيعة البحث أن يكون في أربعة مباحث مسبوقة بمقدمة وتمهيد، ومشفوعة بخاتمة.

**فالمقدمة** فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

**والتمهيد،** فيه لمحة عن مفهوم السياق، وأثره في اختيار الألفاظ، وتأثير ذلك في المعنىٰ، ثم التعريف بالمصدر، والفرق بينه وبين المصدر الميمي، واسم المصدر.

**والمبحث الأول:** أثر السياق في توسيع المعنىٰ و تضييقه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أثر السياق في تخصيص العام من المصادر المتعددة للفعل الواحد.

المطلب الثاني: أثر السياق في الإطلاق والتقييد لمصادر الفعل الواحد.

**والمبحث الثاني:** أثر السياق في تنوع دلالة المصادر، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تنوع دلالة ما اتفق حروفا واختلف ضبطا.

المطلب الثاني: زيادة المصادر لزيادة المعاني.

**والمبحث الثالث:** أثر السياق في تحديد معاني الصيغ في المصادر المتعددة.

**والمبحث الرابع:** أثر السياق في الدلالة الصوتية للمصادر المتعددة، وتحرير الفروق بينها.

ثم **الخاتمة،** وفيها أهم نتائج البحث، والمقترحات.

ثم ذيلت البحث بفهرس للمصادر والمراجع، وفهرس آخر للموضوعات.

والله أسأل أن يتقبل منا هذا العمل، وأن يغفر لنا ما كان فيه من زلل، وألا يحرمنا شرف تدبر القرآن في الدنيا، ويرزقنا شرف صحبة أهل القرآن في الآخرة!

وصلِ اللَّهُمَّ وسَلِّمْ وبارِكْ علىٰ سيِّدِنا محمدٍ وعلىٰ آلِهِ وصحبِهِ أجمعينَ، والحمدُ للهِ ربِّ العالمين!

## التمهيد

### مفهوم السياق و أهميته :

اختصت اللغة العربية دون غيرها بزيادة الثروة اللغوية، وكثرة الصيغ، فقد يكون للفعل الواحد أكثر من مصدر، ولكل مصدر صيغة محددة، وبعضها سماعي، وبعضها قياسي، وحينئذ يتسع المجال للشاعر أو الناثر لاختيار ما يناسب القصيدة أو النص.

وقد أدرك العرب – قديما- الفروق بين هذه المصادر، وقيمة كل في سياقه دون الآخر، فها هو ذا الطاهر بن عاشور يحكي عن العرب فيقول:"وَقَوْلُهُم الْعِثَارُ مَصْدَرُ عَثَرَ إِذْ أُرِيدَ بِالْفِعْلِ الْحَقِيقَةُ، وَالْعُثُورُ مَصْدَرُ عَثَرَ إِذْ أُرِيدَ بِالْفِعْلِ الْمَجَازُ وَهُوَ الِاطِّلَاعُ، وَقَدْ فَرَّقَتِ الْعَرَبُ فِي مَصَادِرِ الْفِعْلِ الْوَاحِدِ وَفِي جُمُوعِ الِاسْمِ الْوَاحِدِ لِاخْتِلَافِ الْقُيُودِ" (١).

ولا شك أن للسياق أثره الواضح في اختيار المصدر المناسب، فما مفهوم السياق؟.

### معنى السياق :

السياق (فِعال) من ساق التي أصلها (سَوق)، ويدور تركيب(س و ق) حول الدفع إلىٰ الأمام أو إلىٰ أعلىٰ بقوة(٢).

و عبر عنه ابن فارس بقوله:" السين والواو والقاف أصل واحدٌ وهو حدو الشيء . يقال: ساقه يسوقه سوقاً والسيقة: ما استيق من الدواب"(١).

---

(١) ينظر:التحرير والتنوير= تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن عاشور١/ ٢٩٥، الدار التونسية للنشر ، تونس: ١٩٨٤ هـ.

(٢) ينظر:المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، محمد حسن جبل، (سوق)٢/ ١٠٣٢.مكتبة الآداب،٢٠١٠م.

ومنه سَوق الإبل وغيرِها : حثها من الخلف علىٰ السير، والسُّوق لأن التجارة تجلب إليها، وتساق المبيعات نحوها، والساق تدفع القدم إلىٰ الأمام، وساق الشجرة تدفع جسمها إلىٰ أعلىٰ[٢].

وإليه أشار ابن دقيق العيد بقوله:"أما السياق والقرائن فإنها الدالة علىٰ مراد المتكلم من كلامه"[٣].

ويؤكده الزركشي بقوله: "ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز، ولهذا ترىٰ صاحب الكشاف يجعل الذي سيق له الكلام معتمداً حتىٰ كأن غيره مطروح"والذي يظهر من كلامه أنه يجعل السياق في معنىٰ الغرض والنظم"[٤].

وتبدو العلاقة بين ما يدور حوله التركيب، ومعنىٰ السياق في أن معنىٰ التتابع والسير والانتظام والترابط في قطيع واحد، مأخوذ من معنىٰ الدفع السابق، أو (الحدو)، فلفظ السياق في اللغة يدل علىٰ الدفع، والحامل عليه هو الغرض الذي من أجله انتظم الكلام، فأدىٰ إلىٰ التتابع والانسجام .

فكأن الدافع لهذا التتابع، والحامل علىٰ هذا الترابط هو الغرض الذي من أجله سيق الكلام.

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس (سوق)٣/ ١١٧. ، تح/ عبد السلام هارون، دار الفكر، عام ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(٢) هذه الأمثلة مستفادة من المعجم المؤصل (سوق) ٢/ ١٠٣٢.

(٣) ينظر: إحكام الأحكام ٢/ ٢١. ابن دقيق العيد، مطبعة السنة المحمدية، بدون طبعة وبدون تاريخ.

(٤) ينظر:البرهان في علوم القرآن للزركشي١/ ٣١٧. ، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسىٰ البابىٰ الحلبي، ط/ ١، ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧م.

ومحال أن يكون هذا التتابع، وذاك الترابط والسير المتتابع، إلا ومن خلفه غرض يدفعه، وهدف يرنو إليه، كما يمكننا القول بأن المقصود بالسياق القرآني:هو تتابع المعاني من خلال النظم والأسلوب.

**أهمية السياق :**

وصف عبد القاهر الجرجاني الاهتمام بالسياق بأنه علم شريف وأصل عظيم، فيقول: " اعلم أن هاهنا أصلا أنت ترىٰ الناس فيه في صورة من يعرف جانبا وينكر آخر وهو أن الألفاظ التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلىٰ بعض فيعرف فيما بينها وهذا علم شريف وأصل عظيم " (١).

وتبدو أهمية السياق في كونه يحدد معنىٰ اللفظ تحديدا دقيقا في الكلام، كما تظهر أهميته في التفريق بين معاني المترادفات، فالمعنىٰ الدقيق لدلالة الألفاظ إنما يعود إلىٰ السياق، ويعين السياق علىٰ إفادة التخصيص، أو دفع توهم الحصر، أو رد المفهوم الخاطئ كما يساعد السياق علىٰ تعيين دلالة الصيغة، فقد تأتي بعض الأبنية متحدة الوزن ولكنها تختلف في دلالتها علىٰ المعنىٰ المراد، والذي يحدد هذه الدلالة هو السياق ومثل ذلك أسماء الزمان والمكان تصاغ من الثلاثي علىٰ وزن (مَفْعَل) نحو مَشْرَب و مَخْرَج، وفي هذه الحالة لا نستطيع التفرقة بين الزمان والمكان إلا بالسياق الذي يحدد المراد ويعين المقصود، ويدخل تحت هذا ما نحن بصدده من تعدد المصادر للفعل الواحد.

و حين قال البلاغيون " لكل مقام مقال" و " لكل كلمة مع صاحبتها مقام" قصدوا هذا المعنىٰ الذي ندور في فلكه، وهو سياق الموقف، أو الحال .

(١) ينظر: دلائل الإعجاز ٤٦٩، عبد القاهر الجرجاني، تح/ ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، الطبعة: الأولىٰ، د. ت.

**مفهوم المصدر والاسم واسم المصدر والمصدر الميمي:**

المصدر: هو الاسم الدال علىٰ الحدث المجرد عن الزمن، و سُمي مصدراً؛ لأنَّ الفعلَ صدرَ عنه وأُخذَ منه[1]، ولهذا قيلَ للمكانِ الذي يصدرُ عنه الإبلُ بعدَ الرّيِّ مصدرٌ[2].

وهو أنواع: صريح ومؤوّل، والصريح أصلي، كالفهم والنظَر، وميميّ، كالمغفرة والمرحمة، وصناعي، كالكمية والكيفية[3].

والمصدر الأصلي، وهو الذي ينصرف إليه مصطلح المصدر عند إطلاقه دون تقييد.

و تجدر الإشارة هنا إلىٰ الفرق بين المصدر الأصلي(السماعي منه والقياسي) والمصدر الميمي، واسم المصدر، فالمصدر السّماعيّ: وهو مصدر الفعل الثلاثيّ المجرد، وله أوزانٌ كثيرةٌ لا تُعرَفُ إلا من معجمات اللغة، ووفق ما سمعه أهل اللسان. (أي من العرب).

مثل: صعَد- صعود، قَرَعَ- قَرعٌ، حلَّ- حَلالٌ، ساسَ- سياسة، دَرَجَ- دَرَجَان، رَحَلَ- رحيلٌ.

المصدر القياسيّ: هو المصدر الذي يستخرج وفقَ ضوابِطٍ وأحكامٍ تنطبقٌ علىٰ أكثر الكلماتِ أو معظمها.

والمصدر الصريح هو كل ما دل علىٰ الحدث بلفظه دون الزمان أو الذات.

والاسم كلمة تدل علىٰ معنىٰ من غير اختصاص بزمان دلالة البيان، والمصدر اسم لحادث يوجد فيه الفعل[1]، فالاسم ينقسم إلىٰ جامد ومشتق والجامد( اسم ذات أو عين واسم معنىٰ) (والأخير هو المصدر غالبًا).

---

(١) علىٰ رأي البصريين.

(٢) ينظر: شرح المفصل: لابن يعيش ١/ ١١٠.

(٣) ينظر: شذا العرف في فن الصرف للحملاوي،٥٧ ، باختصار.

والمصدر الميمي هو اسم جامد مشتق من لفظ الفعل يدل علىٰ حدث غير مقرون بزمن محدد، ومبدوء بميم زائدة تميزه عن المصدر الأصل.

و المصدر الميمي أقوىٰ في الدلالة علىٰ المعنىٰ من المصدر الأصلي، مثل:(أكل: مأكل)، (شرب: مشرب)، (ضرب: مضرب)، فهو مثل المصدر الأصلي إلا أنه يفوقه في قوة الدلالة وتأكيدها[٢]، كما أنه يحمل معه معنىٰ الذات، و "هو أبلغ من جهة زيادة المبني"[٣].

ويصاغ المصدر الميمي من الفعل الثلاثي علىٰ وزنين هما (مَفعِل، مَفعَل)[٤]

ويشتبه المصدر الميمي واسم المكان والزمان، ولا سبيل إلىٰ معرفة أي منها إلا بسياق الكلام.

واسم المصدر: هو اسم يدل علىٰ الحدث دون الزمان، كالمصدر الصريح تماما إلا أن حروفه تقلّ عن حروف فِعْلِهِ، مثل: أَعْطَىٰ عَطَاءً، واغْتسل غَسْلاً، ونحو قوله تعالىٰ:( والله أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا) (نوح/ ١٧) – والمصدر الصريح هو إِنْبَاتَ، ومثل: (إِقَامِ الصَّلاَةَ )، والمصدر الصريح هو إِقَامَة.

---

(١) ينظر: الحدود في علم النحو، لأحمد بن محمد البجائي ،٤٧٣. المحقق: نجاة نولي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد ١١٢ – السنة ٣٣ – ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م

(٢) ينظر:النحو الوافي،عباس حسن،٣/ ٢٣١، دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة،د. ت.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير٢/ ٣٤٤.

(٤) وتفصيل ذلك في كتب الصرف، ينظر – مثلا-: الممتع الكبير في التصريف، لابن عصفور، و كتاب اللباب من تصريف الأفعال للشيخ المرحوم محمد عبد الخالق عضيمة ، و تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات للدكتور صالح سليم الفاخري، وكتاب المعجم المفصل في علم الصرف/ لراجي الأسمر، وغيرها.

## المبحث الأول
## أثر السياق في توسيع المعنى وتضييقه

أولا- أثر السياق في تخصيص العام[1] من المصادر المتعددة للفعل الواحد

**الأَمْن - الأمَنَة :**

"الأَمْنُ : نقيض الخوف، أَمِن فلانٌ يأْمَنُ أَمْنًا وأَمَنًا وأَمَنةً وأَمانًا فهو أَمِنٌ ، والأَمَنةُ: الأَمْنُ "[2].

فهما مصدران للفعل "أَمِنَ"، وكلاهما قد ورد في القرآن الكريم، فوقع الأمن مصدرًا في خمسة مواضع علىٰ النحو الآتي:

١. قوله تعالىٰ:( وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا )(البقرة/ ١٢٥).

٢. قوله تعالىٰ:( وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ )(النساء/ ٨٣).

٣. قوله تعالىٰ:(فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾)(الأنعام/ ٨١).

٤. قوله تعالىٰ:﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢]

٥. قوله تعالىٰ:( وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ) (النور/ ٥٥).

مناسبة (الأمن) الس:

فالأمن في هذه الآيات أمْنٌ عام، كأمن مَن دخل البيتَ الحرامَ، كما في الآية الأولىٰ، و الإنكار علىٰ المنافقين إذاعةَ الأخبار المتعلقة بأمن المسلمين أو

---

(١) فالعام لغة : عبارة عن إحاطة الأفراد دفعة،واصطلاحًا : هو اللفظ المستغرق لجميع ما يصلح له بحسب وضع واحد ، كقولنا : ( الرجال ) فإنَّه مستغرق لجميع ما يصلح له . ينظر:التعريفات ٢٠٣، والمحصول للرازي٢/ ٥١٣.

(٢) اللسان (أمن)١٣/ ٢١.

خوفهم قبل التحقق منها كما في الآية الثانية، وبيان الفريق الآمن في الدنيا والآخرة، وهم الذين لم يخلطوا إيمانهم بشرك كما في الآيتين الثالثة والرابعة، ووعد الله للمؤمنين بتغيير حالهم من الخوف إلىٰ الأمن في الآية الخامسة.

كما وقع لفظ (الأَمَنَة) مصدرًا في موضعين هما:

١. قوله تعالىٰ:(ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا) (آل عمران/ ١٥٤).

٢. قوله تعالىٰ:( إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ) (الأنفال/ ١١).

مناسبة (الأَمَنَة) السياق:

و الأمنة في الآيتين أمن خاص، قطعة من الأمن، وليست كلّ الأمن والضمير فىٰ «منه» يعود إلىٰ الله سبحانه وتعالىٰ.

وفىٰ الحديث عن النعاس الذي غشّىٰ المؤمنين يومئذ بأنه كان نعاسا، ولم يكن نوما، أو استغراقا في النوم- إشارة إلىٰ واقع الحال الذي كان يشتمل جوّ المعركة، من اضطراب النفوس، وجزع القلوب، وحيرة العقول، وأن من نعم الله الجليلة فىٰ هذه الحال أن يطوف بالإنسان طائف من الأمن، بحيث يطرقه، أنزله الله علىٰ قلوب المؤمنين في غزوتي بدر وأحد.

قال الطبري:" أمنة، وهي الأمان، علىٰ أهل الإخلاص منكم واليقين، دون أهل النفاق والشك"[(١)].

أي: ثم أنزل الله الأمن علىٰ المؤمنين، وأزال عنهم الخوف الذي كان بهم حتىٰ نعسوا وغلبهم النوم. والمعنىٰ أنزل عليكم نعاسا ذا أمنة.

---

(١) تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، تح/ عبد الله التركي، ١٣/ ٤١٩.

دار هجر للطباعة والنشر، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

ويبدو من السياق-في الآية الأولىٰ- أن هذا قد كان بعد المعركة وقبل النفير الذي أعلنه الرسول صلىٰ الله عليه وسلم في اليوم الثاني، ولكن بعض الروايات تذكر أن النعاس أصاب المسلمين ليلة المعركة، ويمكن أن يكون النعاس قد أصابهم مرتين، مرة ليلة المعركة ليواجهوا المعركة مستريحين، ومرة بعد المعركة لينسوا آثارها.

والذي يدل علىٰ أن المراد بالنعاس هنا ما أصابهم بعد المعركة مجيء كلمة (ثم) التي تفيد الترتيب دون التعقيب[1].

كما يبدو من سياق الآية الثانية التي في الأنفال أن هذا النعاس- الذي غشىٰ المسلمين- إنما كان ليلة الحرب، لا فىٰ ميدان القتال، كما يرىٰ ذلك بعض المفسّرين.. فإن النعاس مطلوب قبل الالتحام فىٰ القتال، لا ساعة الالتحام؛ لأنه إعداد «للمعركة» وزادٌ من الاستجمام والنشاط يتزود به المقاتل.. أما وقوعه والمعركة دائرة والقتال محتدم، فهو عامل من عوامل الخذلان، لا عدّة من عدد النّصر.

وهذا النعاس كان نعمة من النعم التي ساقها الله للمؤمنين ليلة الحرب، والذي يؤيد هذا أنه وصل بنعمة نزول الغيث فىٰ تلك الليلة، كما يقول الله تعالىٰ: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ ﴾ [الأنفال:١١]

ويتبين من خلال ما سبق أن لفظ (الأمن) أعم من (الأمنة)؛ إذ إن الأخير مقيد من ثلاث جهات:

(١) ينظر: الأساس في التفسير، سعيد حوىٰ،٢/ ٩٠٣. دار السلام – القاهرة، الطبعة: السادسة، ١٤٢٤ هـ

الجهة الأولىٰ: لفظية؛ حيث إن قوله:(نعاسا) وقع بدلا لقوله:(أمنة) في الآية الأولىٰ، أي: أن النعاس الذي أنزل عليهم كان هو الأمنة، كما أنه جاء تعليلا لتغشيتهم بالنعاس في الآية الأخرىٰ؛ لأنه مفعول لأجله.

والجهة الثانية: دلالية؛ حيث إنه أمن مخصوص بسبب النعاس الذي أنزله الله عليهم.

والجهة الثالثة: من حيث المنَزَّلُ عليهم، وهي الطائفة التي تشير إليها الآية الكريمة، والتي أفرغ الله فىٰ قلوبها هذا الأمن، وساق إليها تلك الخفقة من النعاس- هىٰ الطائفة التي ثبتت مع النبي-ﷺ- فهي أمنة مخصوصة للخواص، وأما طائفة المنافقين فلم يكن لهم منها نصيب، "كأن كل واحد من الصحب الكرام قد خصه الله بنوع من الأمن يناسب حاله، ويصلح مآله"[(١)].

في الوقت الذي وقع فيه لفظ الأمن عاما لجميع الأمة، بل إنه يعم الإنسان وغيره في أمن البيت الحرام، ولعل في تقديم قيد(للناس) علىٰ لفظ (أمنا) إشارة لطيفة إلىٰ أن جَعْل الشوق إلىٰ البيت الحرام مرة بعد مرة خاصا بالناس من بين سائر الخلق، ويرجحه قوله تعالىٰ علىٰ لسان الخليل إبراهيم –عليه السلام: ( فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ)(إبراهيم/ ٣٧)،كما أن في تأخير (أمنا) إشارة أخرىٰ إلىٰ عمومه الناسَ وغيرَهم، كما جاء في الحديث:" قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم يوم فتح مكة: "إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض، فهو حرام بحرمة الله إلىٰ يوم القيامة،لا يعضد شوكه ولا ينفر صيده، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها، ولا يُختلىٰ خلاه... [(٢)] " الحديث.

**البغي– البغاء :** لاخلاف في أن "البغي" مصدر للفعل "بغىٰ"، ولكن الخلاف في "البغاء" فقد يكون مصدرا للفعل "بغىٰ" الثلاثي المعتل اللام بوزن "فعل"

(١) أفدته من فضيلة الدكتور سامي هلال (بارك الله فيه) عبر مكالمة هاتفية.

(٢) متفق عليه، البخاري برقم (٣١٨٩)، ومسلم برقم (١٣٥٣).

فلامه ياء، وعليه فهو داخل معنا في البحث، وقد يكون مصدرا للفعل (باغىٰ)، ومنه : "باغت" المرأة مباغاة وبغاء: بغت، وأصله بوزن (فاعَل) ثم ألحقت به تاء التأنيث.

قَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ: البِغَاءُ مَصْدَرُ بَغَتِ المرأَة بِغاءً زَنَت، والبِغَاء مَصْدَرُ بَاغَتْ بِغَاءً إِذَا زَنَتْ، وَجَعَلُوا البِغَاء عَلَىٰ زِنَةِ الْعُيُوبِ كالحِرانِ والشِّرادِ لأَن الزِّنَا عَيْبٌ.

والبِغاء: الفُجُور، وجَعَلُوا البُغَاء عَلَىٰ زِنَةِ الأَدْواء كالعُطاس والزُّكام تَشْبِيهًا لِشَغْلِ قَلْبِ الطَّالِبِ بِالدَّاءِ[1].

وبَغَتِ الأَمَة تَبْغِي بَغْيًا وبِغَاء، بِالْكَسْرِ وَالْمَدِّ، وَهِيَ بَغِيٌّ وبَغُوٌّ: عَهَرَتْ وزَنَتْ.

"والْبَغْيُ هُوَ الِاعْتِدَاءُ عَلَىٰ حَقِّ الآخرين بِسَلْبِ أَمْوَالِهِمْ أَوْ بِأَذَاهُمْ، وَالْكِبْرُ عَلَىٰ النَّاسِ مِنَ الْبَغْيِ، فَمَا كَانَ بِوَجْهِ حَقٍّ فَلَا يُسَمَّىٰ بَغْيًا وَلَكِنَّهُ أَذًىٰ، قَالَ الله تَعَالَىٰ: (وَاللَّذانِ يَأْتِيانِها مِنْكُمْ فَآذُوهُما) [النِّسَاء: ١٦] وَقَدْ كَانَ الْبَغْيُ شَائِعًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَكَانَ الْقَوِيُّ يَأْكُلُ الضَّعِيفَ، وَذُو الْبَأْسِ يُغِيرُ عَلَىٰ أَنْعَامِ النَّاسِ وَيَقْتُلُ أَعْدَاءَهُ مِنْهُمْ، وَمِنَ الْبَغْيِ أَنْ يَضْرِبُوا مَنْ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ بِثِيَابِهِ إِذَا كَانَ مِنْ غَيْرِ الْحُمْسِ، وَأَنْ يُلْزِمُوهُ بِأَنْ لَا يَأْكُلَ غَيْرَ طَعَامِ الْحُمْسِ، وَلَا يَطُوفَ إِلَّا فِي ثِيَابِهِمْ"[2].

"وَتُسَمَّىٰ الْمَرْأَةُ المحترفة بِهِ بَغِيًّا بِوَزْنِ فَعُولٍ بِمَعْنَىٰ فَاعِلٍ وَلِذَلِكَ لَا تَقْتَرِنُ بِهِ هَاءُ التَّأْنِيثِ، فَأَصْلُ بَغِيٍّ بَغُوِيٍ فَاجْتَمَعَتِ الْوَاوُ وَالْيَاءُ وَسُبِقَتْ إِحْدَاهُمَا بِالسُّكُونِ فَقُلِبَتِ الْوَاوُ يَاءً وَأُدْغِمَتِ الْيَاءُ فِي الْيَاءِ"[3].

وورد لفظ (البَغْي) في القرآن الكريم مصدرًا إحدىٰ عشرة مرة، هي كالآتي:

---

(١) اللسان (بغي)١٤/ ٧٧.

(٢) التحرير والتنوير٨/ ١٠٠.

(٣) السابق ١٨/ ٢٢٢.

١. في قوله تعالىٰ:( بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ)(البقرة/ ٩٠). يعني به: تعديا وحسدا[١]

٢. في قوله تعالىٰ:( وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ) (البقرة/ ٢١٣)، (بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ) نُصِبَ عَلَىٰ الْمَفْعُولِ لَهُ، أَيْ لَمْ يَخْتَلِفُوا إِلَّا لِلْبَغْيِ، وَفِي هَذَا تَنْبِيهٌ عَلَىٰ السَّفَهِ في فعلهم، والقبح الذي واقعوه[٢].

٣. في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٩﴾﴾ (آل عمران/ ١٩). أي: أن اختلاف أهل الكتاب كان عن علم، بغيا وطلبا للدنيا،و" بَغْيًا" نُصِبَ عَلَىٰ الْمَفْعُولِ مِنْ أَجْلِهِ،أَوْ عَلَىٰ الْحَالِ مِنَ (الَّذِينَ)[٣].

٤. في قوله تعالىٰ:( ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡ)(الأنعام/ ١٤٦). وَالْمَعْنَىٰ: أَنَّا إِنَّمَا خَصَّصْنَاهُمْ بِهَذَا التَّحْرِيمِ جَزَاءً عَلَىٰ بَغْيِهِمْ وَهُوَ قَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ وَأَخْذُهُمُ الرِّبَا وَأَكْلُهُمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هادُوا حَرَّمْنا عَلَيْهِمْ طَيِّباتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ [النِّسَاءِ: ١٦٠][٤].

٥. في قوله تعالىٰ:( قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ)(الأعراف/ ٣٣). فَإِنْ قِيلَ: الْبَغْيُ لَا يَكُونُ إِلَّا بِغَيْرِ الْحَقِّ فَمَا الْفَائِدَةُ فِي ذِكْرِ هَذَا الشَّرْطِ؟ قُلْنَا إِنَّهُ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ( وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ)

(١) تفسير الطبري٢/ ٣٤٢.
(٢) تفسير القرطبي٣/ ٣٢.
(٣) ينظر:المرجع السابق٤/ ٤٤.
(٤) تفسير الرازي١٣/ ١٧٢.

[الإسراء: ٣٣] وَالْمَعْنَىٰ: لَا تُقْدِمُوا عَلَىٰ إِيذَاءِ النَّاسِ بِالْقَتْلِ وَالْقَهْرِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ لَكُمْ فِيهِ حَقٌّ فَحِينَئِذٍ يَخْرُجُ مِنْ أَنْ يَكُونَ بَغْيًا(١).

في قوله تعالىٰ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمۡ إِذَا هُمۡ يَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغۡيُكُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡۖ مَّتَٰعَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا مَرۡجِعُكُمۡ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٣﴾ [يونس:٢٣]

٦. إنما اعتداؤكم الذي تعتدونه علىٰ أنفسكم، وإياها تظلمون وهذا الذي أنتم فيه (متاع الحياة الدنيا): ذلك بلاغ تبلغون به في عاجل دنياكم. وعلىٰ هذا التأويل "البغي" يكون مرفوعًا بالعائد من ذكره في قوله: (علىٰ أنفسكم)، ويكون قوله (متاع الحياة الدنيا)، مرفوعًا علىٰ معنىٰ: ذلك متاع الحياة الدنيا، كما قال: ﴿لَمۡ يَلۡبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةٗ مِّن نَّهَارٖۚ بَلَٰغٞۚ﴾ [سورة الأحقاف: ٣٥]، بمعنىٰ: هذا بلاغ، وقد يحتمل أن يكون معنىٰ ذلك: إنما بغيكم في الحياة الدنيا علىٰ أنفسكم؛ لأنكم بكفركم تكسبونها غضبَ الله، متاع الحياة الدنيا، كأنه قال: إنما بغيكم متاعُ الحياة الدنيا، فيكون "البغي" مرفوعًا ب "المتاع"، و "علىٰ أنفسكم" من صلة "البغي". وبرفع "المتاع" قرأت القراء(ماعدا حفصا)، فإنه نصبه، بمعنىٰ: إنما بغيكم علىٰ أنفسكم متاعًا في الحياة الدنيا، فجعل "البغي" مرفوعًا بقوله: (علىٰ أنفسكم) ، و"المتاع" منصوبًا علىٰ الحال(٢).

٧. في قوله تعالىٰ﴿ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۚ﴾ [يونس:٩٠] (بغيًا) علىٰ موسىٰ وهارون ومن معهما من قومهما من بني إسرائيل، (وعدْوًا)، أي: واعتداء عليهم(٣).

---

(١) ينظر:المرجع السابق١٤/ ٢٣٣.

(٢) ينظر:تفسير الطبري١٥/ ٥٤،٥٣، بتصرف يسير.

(٣) المرجع السابق١٥/ ١٨٨.

٨. في قوله تعالىٰ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل:٩٠]

البغي هنا:الكبر والظلم، وأصل البغي: التعدّي ومجاوزة القدر والحدّ من كلّ شيء[١]. والْبَغْيُ هُوَ الِاعْتِدَاءُ فِي الْمُعَامَلَةِ،إِمَّا من دُونِ مُقَابَلَةِ ذَنْبٍ كَالْغَارَةِ الَّتِي كَانَتْ وَسِيلَةَ كَسْبٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَإِمَّا بِمُجَاوَزَةِ الْحَدِّ فِي مُقَابَلَةِ الذَّنْبِ كَالْإِفْرَاطِ فِي الْمُؤَاخَذَةِ[٢].

٩. في قوله تعالىٰ:( وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ )(الشورىٰ/ ١٤). وما تفرّق المشركون بالله في أديانهم فصاروا أحزابا، إلا من بعد ما جاءهم العلم،بأن الذي أمرهم الله به،وبعث به نوحا،هو إقامة الدين الحقّ، وأن لا تتفرّقوا فيه،بغيا من بعضكم علىٰ بعض وحسدا وعداوة علىٰ طلب الدنيا[٣].

١٠-في قوله تعالىٰ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ٣٩﴾ [الشورى:٣٩]

، والذين إذا بغىٰ عليهم باغ، واعتدىٰ عليهم هم ينتصرون.

١١-في قوله تعالىٰ:( وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ )(الجاثية/ ١٧).

والبغي:الظُّلْمُ. وَالْمُرَادُ: أَنَّ اخْتِلَافَهُمْ عَنْ عَمْدٍ وَمُكَابَرَةِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ وَلَيْسَ عَنْ غَفْلَةٍ أَوْ تَأْوِيلٍ، وَهَذَا الظُّلْمُ هُوَ ظُلْمُ الْحَسَدِ فَإِنَّ الْحَسَدَ مِنْ أَعْظَمِ الظُّلْمِ، أَيْ فَكَذَلِكَ حَالُ نُظَرَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ مَا اخْتَلَفُوا علىٰ النبيﷺ إِلَّا بَغْيًا

(١) المرجع السابق١٧/ ٢٨٠.
(٢) التحرير والتنوير١٤/ ٢٥٨.
(٣) تفسير الطبري٢١/ ٥١٥.

مِنْهُمْ عَلَيْهِ مَعَ عِلْمِهِمْ بِصِدْقِهِ بِدَلَالَةِ إِعْجَازِ الْقُرْآنِ لَفْظًا وَمَعَانِيَ. وَانْتَصَبَ بَغْيًا إِمَّا عَلَىٰ الْمَفْعُولِ لِأَجْلِهِ، وَإِمَّا عَلَىٰ الْحَالِ بِتَأْوِيلِ الْمَصْدَرِ بِاسْمِ الْفَاعِلِ[1].

**أثر السياق في الآيات السابقة:**

أولا- لم يخرج معنىٰ البغي في جميع الآيات عن أصله اللغوي، وهو التعدي ومجاوزة القدر والحد من كل شيء، فجاء بمعنىٰ الظلم والاعتداء علىٰ الآخرين، والقتل وأكل الربا، وأكل أموال الناس بالباطل، والحسد والكبر، وطلب الدنيا بغير الحق.

ثانيا- وقع لفظ البغي في السور المكية أكثر من السور المدنية؛ وذلك في سياقات الحديث عن بغي الكافرين، سواء المعاصرون للرسالة، كمشركي العرب، واليهود، أم غيرهم من الأمم السابقة، كفرعون وجنوده، وبني إسرائيل.

ثالثا- لم يرد في المدني إلا في سورتي: ( البقرة وآل عمران) في سياق الحديث عن كفر الكافرين المتعمد بسبب حسدهم وتعديهم .

رابعا- ورد لفظ (بغيا) نكرة- مفعولا لأجله- في ستة مواضع، للدلالة علىٰ سبب اختلاف الكافرين في رسالة النبي ﷺ وعدم الإيمان به، وهو الحسد والكبر.

خامسا- كما ورد لفظ (البغي) معرفا بالألف واللام في ثلاثة مواضع كلها في السور المكية، للإشارة إلىٰ ما تعرض له المسلمون في العهد المكي من ظلم واضطهاد، ولبيان الموقف الإسلامي من العمل علىٰ رد العدوان، ودفع الاعتداء والقهر.

وورد لفظ البغي مضافا إلىٰ ضمير الغائبين مرة، في قوله (ببغيهم)؛ والمراد بغي اليهود، ليدل علىٰ أن هذا البغي خاص بهم، وهذا يشير إلىٰ ما أحدثوه في زمن موسىٰ- عليه السلام-في مدة التيه، مما أخبر الله به عنهم من جرائم واعتداءات.

---

(١) التحرير والتنوير٢٥/ ٣٤٦.

كما ورد مضافا إلىٰ ضمير المخاطبين مرة، في قوله (بغيكم علىٰ أنفسكم) ؛لأنه بغي خاص –كذلك؛ حيث إن بغي المشرك عائد إليه، وضرره واقع عليه.

سادسا- لم يرد البغي في السياقات بمعنىٰ (الزنا )، وإن دخل في عموم المعنىٰ اللغوي للبغي وهو الاعتداء ومجاوزة الحد.

وورد (البغاء) مرة واحدة، وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿...وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ...﴿٣٣﴾﴾ [النور].

والبغاء- بكسر الباء- زنىٰ المرأة خاصة، مصدر بغت المرأة تبغىٰ بغاء إذا فجرت[1]، فهو مصدر الثلاثي، وقد يكون مصدرا للرباعي "باغت" كما قال ابن عاشور:"وَالْبِغَاءُ مَصْدَرُ: بَاغَتِ الْجَارِيَةُ، إِذَا تَعَاطَتِ الزِّنَىٰ بِالْأَجْرِ حِرْفَةً لَهَا، فَالْبِغَاءُ الزِّنَىٰ بِأُجْرَةٍ. وَاشْتِقَاقُ صِيغَةِ الْمُفَاعَلَةِ فِيهِ لِلْمُبَالَغَةِ وَالتَّكْرِيرِ وَلِذَلِكَ لَا يُقَالُ إِلَّا: بَاغَتِ الْأَمَةُ.

وَلَا يُقَالُ: بَغَتْ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْبَغْيِ بِمَعْنَىٰ الطَّلَبِ كَمَا قَالَ عِيَاضٌ فِي «الْمَشَارِقِ» لِأَنَّ سَيِّدَ الْأَمَةِ بَغَىٰ بِهَا كَسْبًا، وَتُسَمَّىٰ الْمَرْأَةُ المحترفة بِهِ بَغِيًّا"[2].

**أثر السياق في هذه الآية الكريمة :**

أولا- دلالة لفظ البغاء علىٰ الزنا بأجرة، واتخاذه حرفة، وهذا وصف للواقع الجاهلي، وما كانوا يفعلونه، كما قال السُّدِّي: أنزلت هذه الآية الكريمة في عبد الله بن أبي بن سلول، رأس المنافقين، وكانت له جارية تدعىٰ معاذة، وكان إذا نزل به ضيف أرسلها إليه ليواقعها، إرادة الثواب منه، والكرامة له، فأقبلت الجارية إلىٰ أبي بكر- رضي الله عنه- فشكت إليه ذلك فذكره أبو بكر للنبي-

(١) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي١٠/ ١٢٤.

(٢) التحرير والتنوير١٨/ ٢٢٢.

صلىٰ الله عليه وسلم- فأمره بقبضها، فصاح عبد الله بن أبي: من يعذرنا من محمد؟ يغلبنا علىٰ مملوكتنا! فأنزل الله فيهم هذا[1].

ثانيا- وقعت هذه الآية في سياق آيات سورة النور-المدنية- عن العفة وتطهير المجتمع المسلم من جميع مظاهر الجاهلية من عتق وبغي وقهر، وبناء الشخصية المسلمة المستقيمة، فلما أمر بتزويج من لا زوج له من الحرائر والإماء و الأحرار والعبيد، وحض علىٰ عتق رقابهم من ذل العبودية، بين خطورة البغاء علىٰ الأفراد والمجتمعات، و أن هناك ثلة من الجشعين الذين لا يريدون إلا متاع الحياة الدنيا، يكرهون فتياتهم علىٰ البغاء، فالويل لهم إن لم ينتهوا، وباب المغفرة مفتوح لمن تاب وأناب.

**بيان – تبيان :**

بانَ يَبين، بَيانًا وتِبيانًا ، فهو بائن وبَيِّن: بان الشَّيءُ ظهر واتّضح[2]، والتِّبيان مصدرٌ(بمعنىٰ البيان) وَلَا نَظِيرَ لَهُ إِلَّا التِّلقاء، وَهُوَ مَذْكُورٌ فِي مَوْضِعِهِ...والبَيانُ: الْفَصَاحَةُ واللَّسَن، وكلامٌ بيِّن فَصيح. والبَيان: الإفصاح مَعَ ذَكَاءٍ، والبَيِّن مِنَ الرِّجَالِ: الْفَصِيحُ. ابْنُ شُمَيْلٍ: البَيِّن مِنَ الرِّجَالِ السَّمْح اللِّسَانِ الْفَصِيحُ الظَّرِيفُ الْعَالِي الْكَلَامِ الْقَلِيلُ الرتَج. وفلانٌ أَبْيَن مِنْ فُلَانٍ أَي أَفصح مِنْهُ وأَوضح كَلَامًا. وَرَجُلٌ بَيِّنٌ: فَصِيحٌ[3].

وورد البيان مصدرا في القرآن الكريم ثلاث مرات، علىٰ النحو الآتي:

١-في: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران].

(١) ينظر: تفسير ابن كثير٦/ ٥٥، تح: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع،ط/ ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

(٢) ينظر: الرائد لجبران مسعود (بين).

(٣) لسان العرب لابن منظور، (بين)١٣/ ٦٨ دار صادر، بيروت، ط٣: ١٤١٤ هـ.

وَالْبَيَانُ: الْإِيضَاحُ وَكَشْفُ الْحَقَائِقِ الْوَاقِعَةِ[١]، و قَالَ الْحَسَنُ وَقَتَادَةُ وَابْنُ جُرَيْجٍ وَالرَّبِيعُ: الْإِشَارَةُ إِلَىٰ الْقُرْآنِ، وَقِيلَ: الْإِشَارَةُ إِلَىٰ قَوْلِهِ: قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ قَالَهُ: ابْنُ إِسْحَاقَ،وَالطَّبَرِيُّ،وَجَمَاعَةٌ،أَيْ: هَذَا تَفْسِيرٌ لِلنَّاسِ إِنْ قَبِلُوهُ،وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ مِنَ الْعَمَىٰ. وَقَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ،إِيضَاحٌ لِسُوءِ عَاقِبَةِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ التَّكْذِيبِ.

يَعْنِي:حَثَّهُمْ عَلَىٰ النَّظَرِ فِي سُوءِ عَوَاقِبِ الْمُكَذِّبِينَ قَبْلَهُمْ،وَالِاعْتِبَارَ بِمَا يُعَايِنُونَ مِنْ آثَارِ هَلَاكِهِمْ[٢].

٢-في قوله تعالىٰ: ﴿عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾ [الرحمن].

والبيان هنا معناه : النطق ، والإعراب عما في النفس من معان بأصوات واضحة، ذات مخارج وصفات ، ويدخل في هذا المفهوم العام للبيان ما تفضل الله به علىٰ عباده من إتاحة النطق بكلامه الشريف، و تمكين المخلوق الضعيف من النطق بالقرآن الكريم، وإلا فأنَّىٰ لمخلوق من تراب أن يتكلم بكلام رب الأرباب؟!.

وَمَعْنَىٰ تَعْلِيمِ اللهِ الْإِنْسَانَ الْبَيَانَ: أَنَّهُ خَلَقَ فِيهِ الْاِسْتِعْدَادَ لِعِلْمِ ذَلِكَ وَأَلْهَمَهُ وَضْعَ اللُّغَةِ لِلتَّعَارُفِ، وَفِيهِ الْإِشَارَةِ إِلَىٰ أَنَّ نِعْمَةَ الْبَيَانِ أَجَلُّ النِّعَمِ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ، فَعَدَّ نِعْمَةَ التَّكَالِيفِ الدِّينِيَّةِ وَفِيهِ تَنْوِيهٌ بِالْعُلُومِ الزَّائِدَةِ فِي بَيَانِ الْإِنْسَانِ وَهِيَ خَصَائِصُ اللُّغَةِ وَآدَابِهَا[٣]

٣-في: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة] ، فَالْبَيَانُ هُنَا بَيَانُ أَلْفَاظِهِ، ومعانيه.

(١) التحرير والتنوير٤/ ٩٨.
(٢) البحر المحيط٣/ ٣٥٣.
(٣) التحرير والتنوير٢٧/ ٢٣٣.

**أثر السياق في هذه الآيات:**

١. البيان من أعظم النعم التي أنعم الله بها علىٰ الإنسان.

٢. ورد معنىٰ (البيان) متعلقا بالقرآن الكريم أو ما جاء به من قصص الغابرين، كما ورد إشارة إلىٰ ما أنعم الله به علىٰ الإنسان من نعمة الإعراب عما يريد بالنطق المبين .

٣. سهولة اللفظ تشير إلىٰ يسر المعنىٰ، وسهولة إيصاله.

٤. ورد لفظ (البيان) في المكي والمدني.

٥. خوطب به النبي ﷺ، إشارة إلىٰ بيان القرآن، كما خوطب به غيره من الناس امتنانا عليهم بنعمة البيان.

وورد التبيان في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالىٰ: ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ ...﴿٨٩﴾﴾ [النحل:٨٩].

وَالظَّاهِرُ أَنَّ تِبْيَانًا مَصْدَرٌ جَاءَ عَلَىٰ تِفْعَالٍ، وَإِنْ كَانَ بَابُ الْمَصَادِرِ أَنْ يَجِيءَ عَلَىٰ تَفْعَالٍ بِالْفَتْحِ كَالتَّرْدَادِ وَالتَّطْوَافِ،... وَقَدْ جَوَّزَ الزَّجَّاجُ فَتْحَهُ فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ.

وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: تِبْيَانًا اسْمٌ وَلَيْسَ بِمَصْدَرٍ، وَهُوَ قَوْلُ أَكْثَرِ النُّحَاةِ، وَرَوَىٰ ثَعْلَبٌ عَنِ الْكُوفِيِّينَ، وَالْمُبَرِّدُ عَنِ الْبَصْرِيِّينَ: أَنَّهُ مَصْدَرٌ ولم يجىء عَلَىٰ تِفْعَالٍ مِنَ الْمَصَادِرِ إِلَّا ضَرْبَانِ: تِبْيَانٌ وَتِلْقَاءٌ.

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: (فَإِنْ قُلْتَ): كَيْفَ كَانَ الْقُرْآنُ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ؟ (قُلْتُ): الْمَعْنَىٰ أَنَّهُ بَيَّنَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ حَيْثُ كَانَ نَصًّا عَلَىٰ بَعْضِهَا وَإِحَالَةً عَلَىٰ السُّنَّةِ،حَيْثُ أُمِرَ فِيهِ بِاتِّبَاعِ رَسُولِ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَاعَتِهِ. وَقِيلَ: وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهَوىٰ، وَحَثًّا عَلَىٰ الْإِجْمَاعِ[1].

(١) البحر المحيط٦/ ٥٨٢.

وَالتِّبْيَانُ مَصْدَرٌ دَالٌّ عَلَىٰ الْمُبَالَغَةِ فِي الْمَصْدَرِيَّةِ، ثُمَّ أُرِيدَ بِهِ اسْمُ الْفَاعِلِ فَحَصَلَتْ مُبَالَغَتَانِ، وَهُوَ- بِكَسْرِ التَّاءِ-،وَلَا يُوجَدُ مَصْدَرٌ بِوَزْنِ تِفْعَالٌ- بِكَسْرِ التَّاءِ- إِلَّا تِبْيَانٌ بِمَعْنَىٰ الْبَيَانِ كَمَا هُنَا. وتلقاء بِمَعْنَىٰ اللِّقَاءِ لَا بِمَعْنَىٰ الْمَكَانِ، وَمَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِنَ الْمَصَادِرِ الْوَارِدَةِ عَلَىٰ هَذِهِ الزِّنة فَهِيَ- بِفَتْحِ التَّاءِ[1].

**أثر السياق في هذه الآية الكريمة:**

أولا- يدل لفظ (التبيان) علىٰ المبالغة في البيان،فهو أخص من البيان،وزيادة المبنىٰ تدل علىٰ زيادة المعنىٰ.

ثانيا- جمع بين المبالغة في المصدر والمبالغة في اسم الفاعل؛ لأنه بمعناه، أي مبيِّنا.

ثالثا- تعلق التبيان بتنزيل الكتاب (أي القرآن) علىٰ قلب النبي ﷺ.

رابعا- أن القرآن الكريم تبيان لكل شيء في الدين بالنص أو بالإحالة علىٰ السنة.

خامسا- تقديم التبيان في الذكر علىٰ الهدىٰ والرحمة والبشرىٰ، لبيان أهمية تعلم القرآن وتدبر معانيه، فالعلم قبل العمل.

سادسا- اقتران التبيان بالكتاب، والبيان بالقرآن، ولعل السر في ذلك أن البيان بمعنىٰ الإعراب عما في النفس بالنطق يناسبه القراءة؛ لأن القارئ يُبين عند نطقه، أو أن المقروء واضح وجلي، فقد يكون هذا البيان صفة للقارئ، أو المقروء، والمعنىٰ الذي يحمله اللفظ- حينئذ- واضح جلي، لا يحتاج إلىٰ فضل تدبر، كما أن التبيان بمعنىٰ أن الله -جل جلاله- نزل هذا الكتاب مبيِّنا لكل شيء – أمر يحتاج إلىٰ فضل تدبر، فلا يكتفىٰ فيه بالقراءة أو السماع، ولكنه يحتاج إلىٰ الخط والكتابة والبحث، ومهما يكن من كتابات العلماء في هذا القرآن وما يحويه من علوم و حقائق، فإن ما يغيب عنهم –بعد بذل الجهد- أكثر و أكثر، وهذا يناسبه

(١) السابق١٤/ ٢٥٣.

اسم(الكتاب)؛ إذ إنه – وإن نزل مقروءا لا مكتوبا-ولكنه كان مكتوبا في اللوح المحفوظ، فما خفي عليكم مما فيه من العلوم المكنونة فهو من أسرار الكتاب.

سابعا- دلالة صيغة (تِفْعال) علىٰ المصدر نادرة – كما سبق- فلا توجد إلا في (تبيان) و(تلقاء)، وهذا يشير إلىٰ خصوصية القرآن الكريم في هذا الوصف، فلم يوصف كتاب منزل آخر بهذا الوصف، والسياق القرآني يؤكد هذا الأمر؛ حيث إن الآية الكريمة التي وقع فيها لفظ (تبيانا) وردت في سياق الحديث عن فضل النبي محمدﷺ، وبيان منزلته يوم القيامة بين الرسل ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل]، ومن جملة ما فيه من تبيان شهادة القرآن علىٰ هؤلاء الرسل، وأنهم بلغوا أقوامهم.

**الجدل – الجدال- المجادلة :**

لم يسمع للجدل فعل مجرد أصلي، والمسموع منه (جادل)[1] لأن الخصام يستدعي خصمين. وأما قولهم : جَدَلَه فهو بمعنىٰ غلبه في المجادلة، فليس فعلاً أصليًا في الاشتقاق. ومصدر المجادلة : الجدال.

وأما الجَدَل بفتحتين فأصله مشتق من الجَدْل، وهو الصرع علىٰ الأرض، لأن الأرض تسمىٰ الجَدَالة، يقال : جدله فهو مجدول[2].

والجَدْل: شِدَّة الفَتْل، وجَدَلْتُ الحَبْلَ أَجْدِلُه جَدْلًا إِذا شَدَدْتَ فَتْله وفَتَلْتَه فَتْلًا مُحْكَمًا؛ وَمِنْهُ قِيلَ لِزِمَام النَّاقَةِ الجَدِيل،...والجَدَل: اللَّدَدُ فِي الخُصومة والقدرةُ عَلَيْهَا، وَقَدْ جَادَلَهُ مُجَادَلَةً وجِدَالًا وجَادَلَهُ أَي خَاصَمَهُ مُجَادَلَةً وجِدالًا، وَالِاسْمُ الجَدَل، وَهُوَ شدَّة الخصومة.

(١) وعلىٰ هذا الأساس جعلت الفعل واحدا وهو (جادل).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير٥/ ١٩٥.

الجَدَل: مُقَابَلَةُ الْحُجَّةِ بِالْحُجَّةِ، وَالْمُجَادَلَةُ: الْمُنَاظَرَةُ وَالْمُخَاصَمَةُ، وَسُورَةُ المُجَادَلَة: سُورَةُ قَدْ سَمِعَ اللهُ ؛ لِقَوْلِهِ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ... ﴿١﴾﴾ [المجادلة]، وَهُمَا يَتَجَادَلان فِي ذَلِكَ الأَمر، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ ﴿...وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ...﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة]، (وَلا جِدالَ فِي الْحَجِ) قَالَ أَبو إِسحاق: قَالُوا مَعْنَاهُ لَا يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أَن يُجَادِلَ أَخاه فَيُخْرِجَهُ إِلىٰ مَا لَا يَنْبَغِي[1].

وورد(الجدل) في القرآن الكريم مرتين:

في قوله تعالىٰ: ﴿...وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ [الكهف].

وَكانَ الْإِنْسانُ بحسب جبلته أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا أي أكثر الأشياء التي يتأتىٰ منها الجدل، وهو كما قال الراغب وغيره : المنازعة بمفاوضة القول، والأليق بالمقام أن يراد به هنا الخصومة بالباطل والمماراة وهو الأكثر في الاستعمال. وذكر غير واحد أنه مأخوذ من الجَدْل وهو الفتل والمجادلة الملاواة؛ لأن كلا من المتجادلين يلتوي علىٰ صاحبه، وانتصابه علىٰ التمييز، والمعنىٰ أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل مجادل، وعلل بسعة مُضْطَرِبه، فإنه بين أوج الملكية وحضيض البهيمية فليس له في جانبي التصاعد والتسفل مقام معلوم[2].

١ ـ في قوله تعالىٰ: ﴿ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ ...﴿٥٨﴾﴾ [الزُّخرُف]، أي ما ضربوا لك ذلك إلا لأجل الجدال والخصام، لا لطلب الحق فإنه في غاية البطلان، بل هم قوم لد شداد الخصومة مجبولون علىٰ المحك أي سؤال الخلق واللجاج، فجدلا منتصب علىٰ أنه مفعول لأجله، وقيل: هو مصدر في موضع الحال أي مجادلين، وقرأ ابن مِقْسَم «جدالا» بكسر الجيم و مد الدال [3].

---

(١) ينظر: لسان العرب (جدل)١١/ ١٠٥.

(٢) ينظر: روح المعاني٨/ ٢٨٣.

(٣) ينظر: البحر المحيط ٨/ ٢٥، و روح المعاني١٣/ ٩٢.

وأكثر المفسرين علىٰ أن هذه الآية، نزلت في مجادلة ابن الزبعرىٰ- قبل أن يسلم- مع النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم- فإنه لما نزل قوله- تعالىٰ-: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ... ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء].

قال ابن الزبعرىٰ خصمتك- يا محمد- ورب الكعبة. أليست النصارىٰ يعبدون المسيح، واليهود يعبدون عزيرا، وبنو مليح يعبدون الملائكة؟ فإن كان هؤلاء في النار، فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا في النار؟. فقال له النبي صلّىٰ الله عليه وسلّم: «ما أجهلك بلغة قومك؟ أما فهمت أن ما لما لا يعقل» ؟. وفي رواية أنه صلّىٰ الله عليه وسلّم قال له: «إنهم يعبدون الشيطان» وأنزل الله- تعالىٰ-: وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ[1].

**أثر السياق في هاتين الآيتين الكريمتين:**

أولا- وقع لفظ (الجدل) في سورتين مكيتين، في معرض الحديث عن طبيعة الإنسان الجدلية-بصفة عامة، و مجادلة ابن الزبعرىٰ بصفة خاصة.

ثانيا- ورد الجدل في الموضعين مذموما؛ لأنه للخصام بالباطل، لا لأجل الحق.

ثالثا- مناسبة المصدرية في لفظ (الجدل) لبيان طبيعة الإنسان، في آية الكهف -ولم يرد فيها قراءة أخرىٰ؛ إذ إنه وقع تمييزًا.

رابعا- وورد في موضع الزخرف محتملا أن يكون (جدلا) مفعولا له، أو حالا، ولذلك فإنه قرئ في الشواذ (جِدَالا) أي: مجادلين.

وورد (الجدال) مصدرا في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ ... ﴿١٩٧﴾﴾ [البقرة١٩٧].

(١) ينظر: تفسير ابن كثير٧/ ٢٢٠. وفتح القدير للشوكانىٰ٤/ ٥٦١، وروح المعاني ٢٥/ ٩٤.

وَاخْتُلِفَ فِي الْمُرَادِ بِالْجِدَالِ هُنَا فَقِيلَ السَّبَابُ وَالْمُغَاضَبَةُ، وَقِيلَ تَجَادُلُ الْعَرَبِ فِي اخْتِلَافِهِمْ فِي الْمَوْقِفِ إِذْ كَانَ بَعْضُهُمْ يَقِفُ فِي عَرَفَةَ وَبَعْضُهُمْ يَقِفُ فِي جَمْعٍ (المزدلفة) وَرُوِيَ هَذَا عَنْ مَالِكٍ.

وَاتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَىٰ أَنَّ مُدَارَسَةَ الْعِلْمِ وَالْمُنَاظَرَةَ فِيهِ لَيْسَتْ مِنَ الْجِدَالِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ[1].

**أثر السياق في هذه الآية الكريمة :**

أولا- ورد لفظ (الجدال) في سياق النهي عن بعض الأمور المتوقع حدوثها في الحج؛ لما فيه من شدة الزحام، والخروج عن الرتابة المعهودة لدىٰ الإنسان، في الزمان والمكان والأحوال.

ثانيا- الدلالة الصناعية أو (الصيغة الصرفية) تشير إلىٰ المشاركة في الفعل، وهذا يناسب جو الحج، وما فيه من مشاركات، ومزاحمات، وتجمعات.

ثالثا- زيادة المبنىٰ في (جدال) تدل علىٰ زيادة المعنىٰ؛ حيث إنه وقع منهيا عنه في مقام من أعظم المقامات، وفي ركن من أعظم أركان الدين، ألا وهو الحج.

في الوقت الذي وقع فيه لفظ (جدل) إخبارا عن جدل الإنسان بصفة عامة، أو جدلهم في شأن عيسىٰ –عليه السلام.

وهناك مصدر آخر للفعل(جادل)، وهو(مجادلة)، ولم يرد (المجادلة) مصدرا في القرآن الكريم إلا اسما للسورة المعروفة، وقد جاءت تسميتها (المجادلة) بفتح الدال –مصدرا- وبكسرها – أي المرأة المجادِلة، و هو الراجح عندي؛ لعدم ورود هذا المصدر(المجادَلة) بهذه الصيغة في القرآن الكريم، ولمناسبة صيغة اسم الفاعل(المجادِلة) لقوله تعالىٰ في مطلع السورة:( تُجَادِلُكَ )، ولدلالة اسم الفاعل علىٰ معنىٰ المصدر(المجادَلة) وزيادة، وهو

(١) التحرير والتنوير٢/ ٢٣٥.

حدوث ذلك الجدال من امرأة، وفي هذا ما فيه من إشارات إلىٰ عناية الإسلام بالمرأة وحقوقها.

**الحساب – الحسبان :**

حَسَبَهُ عدّه وبابه نصر وكتب و حِسَابا أيضا بالكسر و حُسْبانا بالضم،[1] ، والحِسابُ والحِسابةُ: عَدُّك الشيءَ. وحَسَبَ الشيءَ يَحْسُبُه، بِالضَّمِّ،حَسْبًا وحِسابًا وحِسابةً: عَدَّه.

وَفِي التَّهْذِيبِ: حَسِبْتُ الشيءَ أَحْسَبُه حِسابًا، وحَسَبْتُ الشيءَ أَحْسُبُه حِسْبانًا وحُسْبانًا.

الحُسْبانُ،بِالضَّمِّ: الحِسابُ.

وَقَالَ أَبو الْعَبَّاسِ: حُسْبانًا مَصْدَرٌ، كَمَا تَقُولُ: حَسَبْتُه أَحْسُبُه حُسْبانًا وحِسْبانًا؛ قال ابن السكيت: حُسبان مصدر حسبت الشيء أَحْسُبُه حَسْبًا وحُسْبانًا، والاسم: الحساب[2].

قَالَ الأَزهري: وَإِنَّمَا سُمِّي الحِسابُ فِي المُعامَلاتِ حِسابًا، لأَنهُ يُعلم بِهِ مَا فِيهِ كِفايةٌ لَيْسَ فِيهِ زيادةٌ عَلَىٰ المِقْدار وَلَا نُقْصان[3].

ورد الحساب مصدرا واسما في القرآن الكريم تسعا وثلاثين مرة [4]، كقوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٢٠٢﴾ [البقرة].

**أثر السياق في الآيات الكريمة التي وقع فيها لفظ "الحساب" :**

١- وقع لفظ (الحساب) مصدرا بمعنىٰ الحساب الأخروي في سبعة وعشرين موضعا،أي بنسبة ٦٩٪ من مجموع لفظ (الحساب)، وورد مرتين بعد الامتنان

(١) ينظر: مختار الصحاح لأبي بكر الرازي،(حسب).

(٢) ينظر: شمس العلوم ، نشوان الحميري(حسب).

(٣) ينظر: لسان العرب(حسب)

(٤) ينظر:المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (حساب) ص٢٠٠.

بتقدير منازل القمر، في: ﴿...لِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس ٥]، وفيالإسراء ١٢ ﴿...وَلِتَعْلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾

٢- ورد ثناء علىٰ الله تعالىٰ في رزق من يشاء بغير حساب، وذلك في سبعة مواضع.

٣- ورد الحساب اسم مصدر نعتا بمعنىٰ (كثيرا) في موضع واحد، في قوله تعالىٰ:( جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا).

وورد الحسبان مصدرا في مرتين وهما:

١ ـ في قوله تعالىٰ: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ٩٦﴾ [الأنعام].

وَالْحُسْبَانُ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرُ حَسَبَ- بِفَتْحِ السِّينِ- كَالْغُفْرَانِ، وَالشُّكْرَانِ، وَالْكُفْرَانُ، أَيْ جَعَلَهَا حِسَابًا، أَيْ عَلَامَةَ حِسَابٍ لِلنَّاسِ يَحْسُبُونَ بِحَرَكَاتِهَا أَوْقَاتَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَالشُّهُورِ، وَالْفُصُولِ، وَالْأَعْوَامِ.

وَهَذِهِ مِنَّةٌ عَلَىٰ النَّاسِ وَتَذْكِيرٌ بِمَظْهَرِ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ،...وَالْإِخْبَارُ عَنْهُمَا بِالْمَصْدَرِ إِسْنَادٌ مَجَازِيٌّ لِأَنَّهُ فِي مَعْنَىٰ اسْمِ الْفَاعِلِ، أَيْ حَاسِبَيْنِ[1].

٢ ـ في قوله تعالىٰ:﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ٥﴾ [الرحمن]، مَعْنَاهُ بِحِسابٍ ومَنازِلَ لَا يَعْدُوانِها، وَقَالَ الزَجاج: بحُسْبانٍ يَدُلُّ عَلَىٰ عَدَد الشُّهُورِ وَالسِّنِينَ وَجَمِيعِ الأَوقات.

وَقَالَ الأَخفش فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: (وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ): مَعْنَاهُ بِحِسابٍ، فحذَف الباءَ[2].

وأما الحسبان في قوله تعالىٰ: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ...٤٠﴾ [الكهف]، فهو جمع(حُسْبانة) وهي المرامي من العذاب التي تَرمِي به السماءُ رميا.

(١) ينظر: التحرير والتنوير٧/ ٣٩٢، باختصار.

(٢) السابق ذاته.

**أثر السياق في آيتي سورتي الأنعام والرحمن السابقتين:**

أولا- وقع لفظ الحسبان مصدرا؛ ليدل علىٰ هذه العلامة التي يحسب بها الناس من خلال (الشمس والقمر)، وتتبع حركاتهما.

ثانيا- وقع بعد ذكر الشمس والقمر مجتمعَيْنِ.

ثالثا- الإخبار بالمصدر هنا من قبيل الإسناد المجازي؛ حيث إنه في معنىٰ اسم الفاعل.

رابعا- هذا الحسبان في الدنيا، وليس في الآخرة.

خامسا- الحساب أعم من الحسبان، فكل حسبان حساب، وليس كل حساب حسبانا.

**خَوْف - خِيفة :**

الخوف: الفزع، خافه يخافه خوفا وخيفة ومخافة، وقال اللحياني: خافه خيفة وخيفا فجعلهما مصدرين، وهو مشتق من الخافة، وهي خريطة من أُدُم ضيقة الأعلىٰ، واسعة الأسفل، يشتار فيها العسل، والخافة: جبة يلبسها العَسَّال، وقيل: هي فرو من أدم يلبسها الذي يدخل في بيت النحل لئلا يلسعه، والخيف-بالفتح: جلد الضرع حين يخلو من اللبن، ويسترخي، ومنه الخوف بمعنىٰ الفزع؛ لأن الخائف فارغ القلب، منخوب الفؤاد، كما قال تعالىٰ: ﴿... وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم]، وقال حسان:

* فأنت مجوفٌ نَخِبٌ هواء *

ومنه التخوف: بمعنىٰ التنقص، كما في قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ... ﴿٤٧﴾﴾ [النحل][1].

(١) ينظر:لسان العرب(خوف)

والمعنىٰ المحوري للتركيب يدور حول:(فراغ كبير في جوف الشيء"لذهاب ما كان يشغله أو انتقاصه"[١].

وورد الخوف مصدرا خمس مرات، كالآتي:

١ ـ في قوله تعالىٰ:﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف].

أي أخلصوا له الدعاء والعمل، ولا تشركوا في عملكم له شيئًا غيره...، وليكن ما يكون منكم في ذلك خوفًا من عقابه، وطمعًا في ثوابه. وإنّ مَن كان دعاؤه إياه علىٰ غير ذلك، فهو بالآخرة من المكذبين، لأنّ من لم يخف عقابَ الله ولم يرجُ ثوابه، لم يبالِ ما ركب من أمر يسخَطه الله ولا يرضاه[٢].

٢- في قوله تعالىٰ:﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾﴾ [الرعد].

خوفًا للمسافر في أسفاره، يخاف أذاه ومشقته، (وطمعًا) للمقيم، يرجو منفعته، ويطمع في رزق الله[٣].

وخَوْفًا وَطَمَعًا مَصْدَرَانِ بِمَعْنَىٰ التَّخْوِيفِ وَالْإِطْمَاعِ، فَهُمَا فِي مَحَلِّ الْمَفْعُولِ لِأَجْلِهِ لِظُهُورِ الْمُرَادِ.

٣-في قوله تعالىٰ:( ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ

(١) ينظر:المعجم الاشتقاقي المؤصل (خوف)١/ ٥٨٤.

(٢) ينظر:تفسير الطبري١٢/ ٤٨٧، باختصار.

(٣) ينظر: تفسير الطبري١٦/ ،٣٨٧، بتصرف يسير.

وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ [النور].

٤-في قوله تعالىٰ: ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٢٤﴾ [الروم].

٥-في قوله تعالىٰ: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ [السجدة].

وورد المصدر(خيفة) في القرآن الكريم ست مرات،علىٰ النحو الآتي:

الأول-في قوله تعالىٰ﴿ وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ [الأعراف:٢٠٥]

ومعنىٰ خيفة: خوفا من الله تعالىٰ ومن عقابه، سواء أكان المراد الاتعاظ بما في الآيات وتدبر معانيها والاعتبار بها عند سماع القرآن -في صلاة أو خطبة-تخشعا لله وتواضعا له، وخوفا من الله أن يعاقبك علىٰ تقصير يكون منك في الاتعاظ به والاعتبار -كما ذهب إليه الطبري[1]، أم أن المراد الحض علىٰ كثرة الذكر من العباد بالغدو والأصال؛ لئلا يكون من الغافلين-كما ذهب إلىٰ ذلك ابن كثير[2].

وَقُوبِلَ التَّضَرُّعُ هُنَا بِالْخِيفَةِ، فَهُوَ مِنَ الْمَصَادِرِ الَّتِي جَاءَتْ عَلَىٰ صِيغَةِ الْهَيْئَةِ وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهَا الْهَيْئَةَ[3].

الثاني- في قوله تعالىٰ﴿ فَلَمَّا رَءَآ أَيۡدِيَهُمۡ لَا تَصِلُ إِلَيۡهِ نَكِرَهُمۡ وَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۚ قَالُواْ لَا تَخَفۡ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمِ لُوطٖ ﴿٧٠﴾ [هود:٧٠]

(١) المرجع السابق١٣/ ٣٥٣.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير٣/ ٦٢٦،٦٢٧.

(٣)ينظر: التحرير والتنوير٩/ ٢٤٢.

أَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً، أَيْ أَحَسَّ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مِنْهُمْ وَأَضْمَرَ ذَلِكَ، وَمَصْدَرُهُ الْإِيجَاسُ. وَذَلِكَ أَنَّهُ خَشِيَ أَنْ يَكُونُوا مُضْمِرِينَ شَرًّا لَهُ، أَيْ حَسِبَهُمْ قُطَّاعًا، وَكَانُوا ثَلَاثَةً وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ- عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَحْدَهُ(١).

الثالث- في قوله تعالىٰ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾ [الرعد:١٣]

والْمَلائِكَةُ عَطْفٌ عَلَىٰ الرَّعْدِ، أَيْ وَتُسَبِّحُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ، أَيْ مِنْ خَوْفِ اللهِ.

ومِنْ لِلتَّعْلِيلِ، أَيْ يُنَزِّهُونَ اللهَ لِأَجْلِ الْخَوْفِ مِنْهُ،أَيِ الْخَوْفِ مِمَّا لَا يَرْضَىٰ بِهِ وَهُوَ التَّقْصِيرُ فِي تَنْزِيهِهِ(٢).

الرابع- في قوله تعالىٰ:( فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ)(طه/ ٦٧).

وخِيفَةً اسْمُ هَيْئَةٍ مِنَ الْخَوفِ، أُرِيدَ بِهِ مُطْلَقُ الْمَصْدَرِ، وَأَصْلُهُ خِوْفَةٌ، فَقُلِبَتِ الْوَاوُ يَاءً لِوُقُوعِهَا إِثْرَ كَسْرَةٍ.

وَزِيَادَةُ فِي نَفْسِهِ هُنَا لِلْإِشَارَةِ إِلَىٰ أَنَّهَا خِيفَةُ تَفَكُّرٍ لَمْ يَظْهَرْ أَثَرُهَا عَلَىٰ مَلَامِحِهِ(٣).

الخامس- في قوله تعالىٰ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الروم:٢٨]

أي: أنكم لا ترضون أن يشارككم في أموالكم التي رزقناكم إياها عبيدكم وإماؤكم، مع أنهم مثلكم في البشرية، بل إنكم لتخافون علىٰ أموالكم منهم، أن يشاركوكم فيها، كما تخافون عليها من الأحرار المشابهين لكم في الحرية وفي

(١) ينظر: التحرير والتنوير ١٢/ ١١٨.
(٢) المرجع السابق١٣/ ١٠٤.
(٣) المرجع السابق١٦/ ٢٦٠.

جواز التصرف في تلك الأموال، فكيف أجزتم لأنفسكم أن تشركوا مع الله- تعالىٰ- آلهة أخرىٰ في العبادة، مع أنه- سبحانه- هو الخالق لكم ولهم، والرازق لكم ولهم؟!!.

فالمقصود من الآية الكريمة إبطال الشرك بأبلغ أسلوب، وأوضح بيان، وأصدق حجة، وأقوىٰ دليل(١).

وَالْخَوْفُ: انْفِعَالٌ نَفْسَانِيٌّ يَنْشَأُ مِنْ تَوَقُّعِ إِصَابَةِ مَكْرُوهٍ يَبْقَىٰ، وَهُوَ هُنَا التَّوَقِّي مِنَ التَّفْرِيطِ فِي حُظُوظِهِمْ مِنَ الْأَرْزَاقِ وَلَيْسَ هُوَ الرُّعْبَ بِقَرِينَةِ قَوْلِهِ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ،أَيْ كَمَا تَتَوَقُّونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ إِضَاعَةِ حُقُوقِكُمْ عِنْدَهُمْ(٢).

السادس- في قوله تعالىٰ:( فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ)(الذاريات/ ٢٨).

أي: أَحَسَّ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُظْهِرْ، وَقَوْلُهُمْ لَهُ لَا تَخَفْ لِأَنَّهُمْ عَلِمُوا مَا فِي نَفْسِهِ مِمَّا ظَهَرَ عَلَىٰ مَلَامِحِهِ مِنَ الْخَوْفِ(٣).

أثر السياق في هذه الآيات الكريمة:

- يبدو من سياقات الآيات أن (الخيفة) أخص من الخوف، ويرشح ذلك مجيئُها علىٰ صيغة اسم الهيئة، فالخوف أعم من الخيفة، ويؤكد ذلك اقترانه بالطمع- علىٰ جهة الطباق- في أربعة مواضع، وبالأمن في موضع سورة النور.
- ورد خوف العبد من الله تعالىٰ، ومن غيره.
- وقع الخوف في سياق الدعاء وقيام الليل، والوعد والوعيد، والامتنان.

(١) ينظر: التفسير الوسيط لطنطاوي١١/ ٨٢، باختصار.

(٢) التحرير والتنوير٢١/ ٨٦.

(٣) المرجع السابق٢٦/ ٣٦٠.

- ورد الخوف مصدرا في ثلاث سور مكية:(الأعراف، والروم، والسجدة)، كما ورد في سورتين مدنيتين:(الرعد والنور) .
- أكثر ما يرد مصدر(الخيفة) للتعبير عما كان في النفس، ولم يظهر جليا علىٰ الوجه أو اللسان، ولذا جاء في السياق القرآني ألفاظ ( في نفسه، في نفسك، فأوجس).
- ورد لفظ (الخيفة) في سياق الحديث عن ثلاثة أنبياء من أولي العزم من الرسل، وهم (محمد، وإبراهيم، وموسىٰ-عليهم جميعا الصلاة والسلام)، وهذا يؤكد خصوصية هذا المصدر (الخيفة).
- جاء لفظ (خيفة) في خوف الملائكة، وهذا يدل علىٰ أنه خوف خاص، ولذا قرنه بتسبيح الرعد بحمده، وتسبيح الملائكة من خيفته.
- ورد لفظ (الخيفة) في التعبير عن التوقي من التفريط في الأمر، وليس الفزع، كما جاء في سورة الروم.
- وقع لفظ (الخيفة) في جميع المواضع في السور المكية، ما عدا موضع سورة الرعد[١].

**الرجع-الرجعى :**

رجع يرجع رَجْعا ورجوعا وُرجْعىٰ ورجعانا ومرجعا ومرجعة: انصرف،والرجعىٰ مصدر علىٰ (فُعْلَىٰ)[٢].

وفي أصل الاشتقاق: الرجْع والرجيع وهو الغدير يتردد فيه الماء، والرجيع ما رجع بعد ما كان، كالعرق بعد ما كان ماء.

والمعنىٰ المحوري: تحول عن الاتجاه أو الحال إلىٰ عكسه[١].

---

(١) وقع خلاف بين علماء التفسير في مدنيتها، والراجح أنها مدنية.

(٢) ينظر:لسان العرب (رجع).

وورد (الرجع) مصدرا في القرآن الكريم ثلاث مرات، كالآتي:

في قوله تعالىٰ:(فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾) (ق/ ٣).

وَالرَّجْعُ: مَصْدَرُ رَجَعَ، أَي الرُّجُوعُ إِلَىٰ الْحَيَاةِ، وَمَعْنَىٰ (بَعِيدٌ) أَنَّهُ بَعِيدٌ عَنْ تَصَوُّرِ الْعَقْلِ[٢].

١. في قوله تعالىٰ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾﴾ [الطارق:٨]

والرَّجْعُ: مَصْدَرُ رَجَعَهُ الْمُتَعَدِّي، وَلَا يُقَالُ فِي مَصْدَرِ رَجَعَ اللازم إِلَّا الرُّجُوعُ، ولم يرد الرجوع-مع شهرته-مصدرا في القرآن الكريم، وهذا يشير إلىٰ سلب قدرة الإنسان، وكمال قدرة الله تعالىٰ.

٢. في قوله تعالىٰ:( وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ)(الطارق/ ١١).

وَفِي اسْمِ الرَّجْعِ مُنَاسَبَةٌ لِمَعْنَىٰ الْبَعْثِ فِي قَوْلِهِ: إِنَّهُ عَلىٰ رَجْعِهِ لَقادِرٌ [الطارق: ٨] وَفِيهِ مُحَسِّنُ الْجِنَاسِ التَّامِّ وَفِي مُسَمَّىٰ الرَّجْعِ وَهُوَ الْمَطَرُ الْمُعَاقِبُ لِمَطَرٍ آخَرَ مُنَاسَبَةً لِمَعْنَىٰ الرَّجْعِ الْبَعْثِ فَإِنَّ الْبَعْثَ حَيَاةٌ مُعَاقَبَةٌ بِحَيَاةٍ سَابِقَةٍ[٣].

وورد لفظ (الرجعىٰ) مصدرا مرة واحدة، وذلك في قوله تعالىٰ:

(إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ)(العلق/ ٨).

والرُّجْعىٰ: مَصْدَرُ رَجَعَ عَلَىٰ وزن فُعْلَىٰ مِثْلُ: (الْبُشْرَىٰ)، والألف فيها للتأنيث.

و هو تهديد للطاغي وتحذير له من عاقبة الطغيان، والخطاب قيل للإنسان، والالتفات للتشديد في التهديد، وجوز أن يكون الخطاب لسيد المخاطبين ﷺ، والمراد أيضا تهديد الطاغي وتحذيره ولعله الأظهر نظرا إلىٰ الخطابات قبله[٤].

---

(١) ينظر:المعجم الاشتقاقي المؤصل(رجع)٢/ ٧٦٣.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير٢٦/ ٢٨٠.

(٣) المرجع السابق٣٠/ ٢٦٦.

(٤) ينظر: روح المعاني١٥/ ٤٠٤، بتصرف.

**أثر السياق في هذه الآيات الكريمة :**

أولا- الرجْع أعم من الرُّجْعَىٰ؛ فالرجع يطلق علىٰ رجع السماء، وهو المطر وغيره، كما يطلق علىٰ البعث يوم القيامة، وأما الرجعىٰ فلم ترد إلا في سياق الرجوع إلىٰ الله تعالىٰ يوم القيامة.

ثانيا- ورد لفظ "الرجع"علىٰ ألسنة الكافرين المنكرين للبعث، كما جاء من الله تعالىٰ ردا عليهم، ولم يصدر لفظ "الرجعىٰ" إلا من الله تعالىٰ، فهو منه وإليه، وهذا يناسب ذكره عقيب أول آيات أنزلت علىٰ قلب النبيﷺ[1]، كما يناسب ذكرَ فعلِه في آخر آية أنزلت –علىٰ التحقيق–و هو قوله تعالىٰ:( وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ )(البقرة/ ٢٨١).

ثالثا- وقع كلٌّ من لفظي"الرجع والرجعىٰ" في سورتين مكيتين، وهذا يتفق مع ما يتميز به القرآن المكي من ترسيخ العقيدة والتوحيد، والرد علىٰ منكري البعث.

رابعا- من الواضح أن لفظ (الرجع ) مصدر رجَعَه المتعدي خاص بالحديث عن البعث، ولكننا نلحظ وقوعه في وصف السماء في الموضع الثاني من سورة الطارق، و فيها جاء القسم بالسماء الموصوفة بأنها (ذات الرجع).

وفي ذلك قال جُلُّ المفسرين: إن (رجع) السماء هو المطر، وإنه سمي (رجعـًا)؛ لأن بخار الماء يرتفع من الأرض إلىٰ السماء حيث يتكثف ويعود إلىٰ الأرض مطراً –بإذن الله– في عملية دائمة التكرار والإعادة، ولفظة (الرجع) هنا مستمدة من الفعل رجع بمعنىٰ: عاد وآب، ولذا سمي المطر (رجعـًا) كما سمي أوبـًا؛ لأن (الرجوع) هو العود إلىٰ ما كان منه البدء.

ولفظة (الرجع) في هذه الآية الكريمة لها من الدلالات ما يفوق مجرد نزول المطر – علىٰ أهميته القصوىٰ لاستمرار الحياة علىٰ الأرض– مما جعل هذه

(١) أي بعد الخمس الآيات الأولىٰ من سورة العلق.

الصفة من صفات السماء محلاً لِقَسَم الخالق سبحانه وتعالىٰ - وهو الغنيّ عن القسم- تعظيمًا لشأنها وتفخيمًا. فما المقصود (بالرجع) في هذه الآية الكريمة؟.

يبدو -والله تعالىٰ أعلم- أن من معاني (الرجع) هنا: الارتداد، أي أن من الصفات البارزة في سمائنا أنها ذات رجع أي ذات ارتداد، بمعنىٰ أن كثيراً مما يرتفع إليها من الأرض ترده إلىٰ الأرض ثانية، وأن كثيراً مما يهبط عليها من أجزائها العليا يرتد ثانية منها إلىٰ المصدر الذي هبط عليها منه، فالرجع صفة أساس من صفات السماء، أودعها فيها خالق الكون ومبدعه، فلولاها ما استقامت علىٰ الأرض حياة، ومن هنا كان القسم القرآني بها تعظيمـًا لشأنها، وتنبيهـًا لنا للحكمة من إيجادها وتحقيقها...![1].

رجع السماء في ضوء العلوم الحديثة:

كشف العلم اليوم عن عدد من صور الرجع في السماء، ومنها:

١- الرجع الاهتزازي للهواء (الأصوات وصداها):

ولولاه ما سمع بعضنا بعضًا وما استقامت الحياة علىٰ الأرض.

٢- الرجع المائي (المطر).

٣- الرجع الحراري إلىٰ الأرض وعنها إلىٰ الفضاء بواسطة السحب.

٤- رجع الغازات والأبخرة والغبار المرتفع من سطح الأرض.

٥- الرجع الخارجي للأشعة فوق البنفسجية بواسطة طبقة الأوزون.

٦- رجع الأشعة الكونية بواسطة كل من أحزمة الإشعاع والنطاق المغناطيسي للأرض: إذا اعتددنا السماء بمعنىٰ الكون وما فيه من نجوم

(١) ينظر: الإعجاز العلمي في قوله:( والسماء ذات الرجع) مقال للشيخ عبد المجيد الزنداني، علىٰ موقع جامعة الإيمان، وما كتبه الدكتور عبد الدائم الكحيل في موسوعته علىٰ موقعه، والدكتور محمد راتب النابلسي، في موسوعته العلمية.

ومجرات وأجرام سماوية مختلفة،فإن كل شيء في الكون يرجع إلىٰ ما كان عليه،هذا ما تسلكه الأجرام السماوية في حركتها الدورية في أفلاكها الخاصة.

ولكل رَجْع من هذه الأنواع فوائد ومنافع للمخلوقات، ليس هذا مجال ذكرها.

**وجه الإعجاز:**

وصف الله تعالىٰ السماء بوصف من الأوصاف البارزة والمهمة، فقال تعالىٰ: ﴿وَالسَّمَاء ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ [الطارق: ١١]، وقد فهم المفسرون القدامىٰ من هذا الوصف أحد معاني الرجع، وهو إرجاع المياه التي تم تبخيرها من علىٰ سطح الأرض في صورة أمطار تهطل علىٰ مناطق متفرقة.

ولكن اللفظ القرآني لم يقل: ذات المطر، بل قال: (ذات الرجع)، ويفهم منه أن السماء تقوم بإرجاع أمور أخرىٰ غير المطر، وفي العقود المتأخرة من القرن العشرين كشف العلم عن صور أخرىٰ لرجع السماء، وعلىٰ ذلك فإن وصف السماء بأنها (ذات الرجع) في القرآن الكريم من قبل ألف وأربعمائة من السنين يجمع كل هذه الصور التي نعرفها اليوم، وربما العديد من الصور التي لم نعرفها بعد،وكل هذا في كلمة واحدة وهي (الرجع)، وهذه الكلمة الجامعة هي شهادة صدق بأن القرآن الكريم هو كلام الله الخالق، وأن سيدنا محمداً صلىٰ الله عليه وسلم الذي تلقىٰ هذا الوحي الحق هو خاتم أنبياء الله ورسله، وأنه صلىٰ الله عليه وسلم كان موصولاً بالوحي ومعلّمًا من قبل خالق السماوات والأرض؛

وصدق الله العظيم الذي وصف خاتم أنبيائه ورسله بقوله الحق: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ﴾ [النجم: ٣-٥][1].

ومن ثم فإن كلا من اللفظين (الرجع والرجعىٰ) قد استعمل في موضعه، ومع أنهما مصدران لفعل واحد، إلا أن السياق القرآني المعجز قد حدد لكل لفظ موضعه المناسب، وأثره في المعنىٰ.

**الرَشَد – الرُشْد – الرشاد :**

والراء والشين والدال (رشد) في اللغة أصلٌ واحدٌ يدلُّ علىٰ استقامةِ الطريق[2].

و "الرَشادُ: خلاف الغَيّ، وقد رَشَدَ يَرْشُدُ رُشْداً، ورَشِدَ بالكسر يَرْشَدُ رَشَداً لُغَةٌ فيه"[3].

[الرَّشَد]: الرشاد، قال الله تعالىٰ: {وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا }، وقرأ حمزة والكسائي وخلف: { وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ }(الأعراف/ ١٤٦)- بالفتح، والباقون بضم الراء وسكون الشين[4].

و ذكر النحاس عن سيبويه و الكسائي قولهما: الرُّشْد والرَّشَد: لغتان مثل السُّخْط والسَّخَط[5].

---

(١) ينظر: مقال الإعجاز العلمي في قوله:( والسماء ذات الرجع)، للشيخ عبد المجيد الزنداني، علىٰ موقع جامعة الإيمان.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس( رشد)٢/ ٣٩٨.

(٣) ينظر:الصحاح، للجوهري ( رشد)٢/ ٤٧٤.

(٤) ينظر: السبعة ٢٩٣، والنشر ٢/ ٢٧٢.

(٥) ينظر: إعراب القرآن، لأبي جعفر النحاس١/ ٦٣٧.

وقال أبو عبيد: فرق أبو عمرو بين الرُّشْد فقال: الرُّشد،بالضم: الصلاح، والرَّشَد بالفتح: في الدين.

وحكىٰ غيره عن أبي عمرو أنهما لغتان بمعنىً، إلا أنه قال: إذا كان الرُّشْد وسط الآية فهو مسكَّن، وإذا كان رأس الآية فهو محرك، يعني مثل قوله: {وَهَيِّئْ لَنا مِنْ أَمْرِنا رَشَدًا} بالفتح، وعن الحسن والشعبي أنهما قرأا: قَدْ تَبَيَّنَ الرَّشَدُ مِنَ الْغَيِ[1].

وورد (الرَشَد) مصدرا خمس مرات،علىٰ النحو الآتي:

١. في قوله تعالىٰ:( وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا )(الكهف/ ١٠).

٢. في قوله تعالىٰ:( وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا)(الكهف/ ٢٤).

٣. في قوله تعالىٰ:( وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا)(الجن/ ١٠).

٤. في قوله تعالىٰ:( فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا)(الجن/ ١٤).

٥. في قوله تعالىٰ:( قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا )(الجن/ ٢١).

وَفِي الْكَلَامِ احْتِبَاكٌ لِأَنَّ الضُّرَّ يُقَابِلُهُ النَّفْعُ، وَالرَّشَدُ يُقَابِلُهُ الضَّلَالُ، فَالتَّقْدِيرُ: لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضُرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا ضَلَالًا وَلَا رَشَدًا.

وَالرَّشَدُ بِفَتْحَتَيْنِ: مَصْدَرُ رَشَدَ، وَالرُّشْدُ، بِضَمٍّ فَسُكُونٍ: الِاسْمُ، وَ هُوَ مَعْرِفَةُ الصَّوَابِ[2].

وورد (الرُّشْد) ست مرات،علىٰ النحو الآتي:

١. في قوله تعالىٰ:( قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ)(البقرة/ ٢٥٦).

٢. في قوله تعالىٰ:( فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ)(النساء/ ٦).

٣. في قوله تعالىٰ:( وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا )(الأعراف/ ١٤٦).

(١) ينظر:شمس العلوم، نشوان بن سعيد الحميري،(رشد).

(٢) ينظر:التحرير والتنوير٢٩/ ٢٤٣.

٤. في قوله تعالىٰ:( قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا )(الكهف/ ٦٦).

٥. في قوله تعالىٰ:( وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ )(الأنبياء/ ٥١).

٦. في قوله تعالىٰ:( يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ )(الجن/ ٢).

والرُّشْدِ: بِضَمِّ الرَّاءِ وَسُكُونِ الشِّينِ (أَوْ يُقَالُ بِفَتْحِ الرَّاءِ وَفَتْحِ الشِّينِ) هُوَ الْخَيْرُ وَالصَّوَابُ وَالْهُدَىٰ. وَاتَّفَقَتِ الْقِرَاءَاتُ الْعَشْرُ عَلَىٰ قِرَاءَتِهِ بِضَمٍّ فَسُكُونٍ.

وورد (الرَّشاد) مصدرا مرتين هما:

١. في قوله تعالىٰ:( قَالَ فِرۡعَوۡنُ مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ )(غافر/ ٢٩).

٢. في قوله تعالىٰ:( وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ )(غافر/ ٣٨).

**أثر السياق في هذه الآيات الكريمة:**

أولا- وقع معظم الألفاظ (الرُّشْد والرَّشَد والرَّشَاد) في القصص القرآني، سواء المتعلقة بالأنبياء، كإبراهيم وموسىٰ عليهما السلام، أم المتعلقة بغيرهم كأهل الكهف، والجن.

ثانيا- نلحظ وقوع لفظ (الرَّشَد) بالفتح في سياق الحديث عن الآخرة غالبا، ولفظ (الرُّشد)بضم الراء وسكون الشين في الدنيا والآخرة، فهو أعم.

ثالثا- ورد الرُّشْد في مقابل الغَي في موضعين، كما جاء مقابلا للشر، وللضر- في ظاهر السياق.

رابعا- يشمل لفظ "الرُّشْد"-بالضم- المحسوس وغيره، وأكثر ما يكون في استقامة العقل، بخلاف الرَّشَد- بفتح الراء و الشين- فإنه في المعنوي، ومعناه الصلاح و الهداية إلىٰ الطريق الصحيح.

خامسا: ضم الراء في لفظ ( الرُّشد) أثقل من فتحتها؛ فالضم أثقل الحركات، وهذا الثقل الصوتي مناسب لمدلول الكلمة؛ حيث إن ما يحتاجه المرء لاستقامة عقله من تعليم وغيره يتطلب جهدا ومشقة[1] .

سادسا- والرشاد أكثر حروفا من الرُّشْد –بضم الراء أو الرَّشَد بفتحها- وهذه الزيادة في المبنىٰ تشير إلىٰ الزيادة في المعنىٰ، فهو يدل علىٰ الصلاح المقصود من سلوك السبيل، وهي الغاية المرجوة من هذا الطريق، وما في الكلمة من مد يناسب طول السبيل .

سابعا- ونلحظ مجيء( الرشاد) علىٰ لسان فرعون، وعلىٰ لسان مؤمن آل فرعون، وأضيف في الموضعين إلىٰ لفظ "سبيل"، وسياق الآية التي قيلت علىٰ لسان فرعون يفضحه، ويبين كذبه وادعاءه؛ حيث إنه استعمل أسلوب القصر ب"ما"و"إلا" من دون إقناع، وأما مؤمن آل فرعون فإن السياق يؤكد صدقه من بين يديه ومن خلفه؛ حيث إنه استعمل أسلوب الإقناع، و في إعادته للفظ (سبيل الرشاد) ترسيخ لدعوة موسىٰ –عليه السلام- وإبطال لما ادعاه فرعون .

**الفسق – الفسوق :**

يقال: فسَق يَفْسِقُ ويَفْسُقُ فِسْقًا وفُسوقًا، فكلاهما يدلان علىٰ معنىٰ العصيان والترك لأَمر الله عز وجل والخروج عن طريق الحق، والظاهر أن الفسق يكون أكثر ما يكون في الخروج عن الأمور العقدية، والفسوق عن الأمور السلوكية والأخلاقية .

وقال ابن الأَعرابي: لم يُسْمع قَطُّ في كلام الجاهلية ولا في شعرهم فاسِقٌ، قال: وهذا عجب وهو كلام عربي[1]، فهو بهذا المعنىٰ من الألفاظ الإِسلامية، التي صبغها التطور الدلالي بصبغة جديدة.

(١) أفدته من فضيلة الدكتور سامي هلال (بارك الله فيه) عبر مكالمة هاتفية.

وأصل الفسوق: خروج الشيء من الشيء، يقال: فسقت الرُّطَبَة: أي خرجت من قشرها[٢].

والمعنىٰ المحوري للتركيب: خروج الشيء عن غلافه (حده) أو حيزه لحدة أو فساد[٣].

قال الأَصْبهانيُّ: "الفِسْق أَعمُّ من الكُفر، والفِسْقُ يَقَعُ بالقَلِيل من الذُّنُوب وبالكَثِيرِ، ولكِن تُعورِفَ فِيما كانَ بكَثِيره، وأَكثرُ ما يُقالُ الفَاسِقُ لِمَنْ الْتَزَم حُكمَ الشَّرع وأَقَرَّ بِهِ ثُم أَخلَّ بجَمِيع أَحكامِه، أَو ببَعْضِها.

وإِذا قِيلَ للكَافِر الأَصليّ فَاسِقٌ، فلأَنَّه أَخَلَّ بحُكم ما أَلزمَه العَقل، واقتَضَتْه الفِطْرَةُ، ومنه قَولُه تَعالَىٰ: {أَفَمَنْ كانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كانَ فاسِقًا لا يَسْتَوُونَ} فقابَلَ به الإِيمان، فالفاسِقُ أَعمُّ من الكافِر"[٤].

ورد لفظ (الفسق) مصدرا ثلاث مرات، و هي:

- في قوله تعالىٰ:( وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ )(المائدة/ ٣).

أي: تعاطيه فسق وغي وضلال وجهالة وشرك.

- في قوله تعالىٰ:( وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ )(الأنعام/ ١٢١).

والإخبار عنه بالمصدر للمبالغة في وصف الفعل، وهذا نظير جعله فسقًا في الآية الآتية:

- في قوله تعالىٰ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأنعام:١٤٥]وورد لفظ (الفسوق) مصدرا أربع مرات،هي:

- في قوله تعالىٰ:( فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ)(البقرة/ ١٩٧).

---

(١) ينظر:لسان العرب (فسق)١٠/ ٣٠٨.

(٢) ينظر:شمس العلوم، نشوان الحميرىٰ (فسق) ٨/ ٥١٨٣.

(٣) ينظر:المعجم الاشتقاقي المؤصل٣/ ١٦٧٤.

(٤) مفردات في غريب القرآن للراغب١/ ٦٣٦، تح/ الداودي.

- في قوله تعالىٰ:( لَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِن تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ)(البقرة/ ٢٨٢).
- في قوله تعالىٰ:( وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ)(الحجرات/ ٧).
- في قوله تعالىٰ:( بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ)(الحجرات/ ١١).

**أثر السياق القرآني في هذه الآيات الكريمة :**

أولا- الفسوق أكثر حروفا من الفسق، والزيادة في المبنىٰ تدل علىٰ الزيادة في المعنىٰ، ونلحظ من خلال الآيات أن الفسق وقع خبرا لأمور من أعمال الجاهلية، نهىٰ الله المسلمين عنها، فأطلق علىٰ ما أهل لغير الله به، أو الاستقسام بالأزلام، أو ما ورد من المحرمات في الآية الكريمة:"حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير...".

ثانيا- كل من الفسق والفسوق منهي عنه، ولكننا نلحظ وقوع (الفسوق) في سياقات متعددة؛ حيث إنه ورد منهيا عنه بصيغة نفي الجنس، ويشمل كل معصية،كما في الآية(١٩٧) من سورة البقرة، أو المضارة التي تلحق بالكاتب أو الشاهد أو المشهود له في الدين، أو الكبائر كما في الآية(٧)من سورة الحجرات، أو ذم التلبس به بعد الإيمان.

ثالثا- يقع المصدر (الفسوق) فيما صدر من المسلم بعد إيمانه من مخالفات قبيحة لا تليق به، سواء أكانت من الكبائر أم من غيرها، وقد يقبح العمل –وهو من الصغائر- بسبب عظمة المكان كالحج، أو عظمة الزمان كالأشهر الحرم، أو مكانة العامل بين الناس، كهيئة المؤمن وما يتحلىٰ به من زي أو شكل، كأن ترىٰ شيخا في وجهه سيما الصلاة والصلاح، و له لحية بيضاء ثم تراه يسب ويشتم، ولذا جاء في الحديث:(سباب المسلم فسوق) ومعناه سبابك المسلم،فيكون من

إضافة المصدر إلىٰ مفعوله،أو سباب المسلم أخاه المسلم،فيكون من إضافة المصدر إلىٰ فاعله.

رابعا- تبدو العلاقة بين المعنىٰ اللغوي لمادة (ف س ق) والفسوق بمعناه الشرعي واضحا؛حيث إن تعدي حدود الله هو خروج عن طاعة الله، فإن استحله غيرَ مؤمن بالله فهو كافر، وإن لم يستحلَّه وكان مؤمنا فهو فاسق بخروجه هذا، ولكنه لم يخرج عن دائرة الإيمان ولم يبلغ حد الكفر.

خامسا- قد يخبر عن الشيء المحرم ذاته بأنه فِسق مبالغة في وصف الفعل بالمصدر، أو للمبالغة في وصف الفاعل، كالآية (١٢١/ الأنعام)،أي: إذا كان أكل ما لم يذكر اسم الله عليه يعد الأكل فسقا فكيف بالآكل؟!

سادسا- الدلالة الصوتية للفظ (الفسوق) تشير إلىٰ أنه يجمع كثيرا من أنواع الذنوب والقبائح، وصوت الواو يدل علىٰ الاشتمال والاحتواء والضم.

سابعا- زنة "فُعُول" من مصادر الفعل اللازم تدل -غالبا- علىٰ الحركة الانسيابية، نحو:النزول والصعود والهبوط والخروج، ومنه "الفسوق"، ويستنبط من هذا أن الفسوق لمن اعتاد الفسق، ففسق مرة بعد مرة، حتىٰ سهل عليه، فلم يتكلفه، ولم يتخل عنه، حتىٰ في مواقف العبادة العظيمة كالحج والصيام .

وحركات المصدر كلها واحدة، وهي الضم، وكأنها تحكي حركة الخروج من الحيز جريا وانحدارا.

**النشر- النشور :**

نَشَرَ يَنشُر، نَشْرًا ونُشُورًا[1]، وعمَّ أَبو عبيد بالنَّشْر جميعَ ما خرج من نبات الأَرض[1] النشر في اللغة يأتي بمعنىٰ البسط، والانتشار، وتقلب الإنسان في حوائجه، ويأتي بمعنىٰ

(١) قال صاحب أضواء البيان (٦/ ١٢): "اعْلَمْ أَنَّ النُّشُورَ يُطْلَقُ فِي الْعَرَبِيَّةِ إِطْلَاقَيْنِ:
الْأَوَّلُ: أَنْ يَكُونَ مَصْدَرَ نَشَرَ الثُّلَاثِيِّ الْمُتَعَدِّي: نَشَرَ اللهُ الْمَيِّتَ يَنْشُرُهُ نَشْرًا وَنُشُورًا.
الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ مَصْدَرَ نَشَرَ الْمَيِّتُ يَنْشُرُ نُشُورًا لَازِمًا، وَالْمَيِّتُ فَاعِلُ نَشَرَ.

التفرق. أما مجيئه بمعنىٰ البسط فمثل قوله تعالىٰ: وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ [التكوير: ١٠] ومنه قوله تعالىٰ: وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا [المرسلات: ٣] أي الملائكة التي تنشر الرياح أو الرياح التي تنشر السحاب.

وأما مجيئه بمعنىٰ الانتشار فمثل قوله تعالىٰ: وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا [ الفرقان: ٤٧] أي جعل فيه الانتشار وابتغاء الرزق.

وعن تقلب الإنسان في حوائجه قوله تعالىٰ: فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلاةُ فَانتَشِرُوا فِي الأَرْضِ [ الجمعة: ١٠] أي تفرقوا فيها(٢) .

ويدور معنىٰ تركيب (ن ش ر) حول: تفرق ببسط وامتداد نشوءا أو إيقاعا، كانتشار النبات من الأرض، وسطوع الرائحة من مصدرها، ونشر الثوب بعد طيه(٣).

قال ابن الأثير: "يُقَالُ: نَشَرَ الميتُ يَنْشُرُ نُشُورًا، إِذَا عَاشَ بَعْدَ الْمَوْتِ، وأَنْشَرَهُ الله، أَي: أَحْيَاهُ"(٤).

يطلق ويراد به معنىٰ البعث ومرادف له، وهو: "انتشار الناس من قبورهم إلىٰ الموقف للحساب والجزاء.

وإذا كان من المعاني اللغوية الانتشار والتفرُّق والانبساط والبعث، فهي معان عامَّة يدخل فيها معنىٰ نشر الله الأموات وإحيائهم من قبورهم، فالنشور يراد به

---

(١) ينظر: لسان العرب (نشر)٥/ ٢٠٦.

(٢) ينظر:مفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص٤٩٢.

(٣) ينظر:المعجم الاشتقاقي المؤصل ٤/ ٢١٩٨.

(٤)"النهاية في غريب الحديث والأثر"؛ لابن الأثير،مادة: (ن ش ر)،(٥/ ٥٤).

سريان الحياة في الأموات، و يراد به البعث في اليوم الآخر وخروج الناس من قبورهم أحياء؛ وهذا ما فسر به قوله تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴾.

وقال السفارينيُّ: "وَأَمَّا النُّشُورُ فَهُوَ يُرَادِفُ الْبَعْثَ فِي الْمَعْنَىٰ، يُقَالُ: نُشِرَ الْمَيِّتُ يُنْشَرُ نُشُورًا: إِذَا عَاشَ بَعْدَ الْمَوْتِ،وَأَنْشَرَهُ اللهُ، أَيْ: أَحْيَاهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: يَوْمُ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ"(١).

والنشور: اسْمٌ لظُهُور المبعوثين وَظُهُور أعمالهم لِلْخَلَائِقِ، وَمِنْه قَوْلك: نشرت اسْمك ونشرت فَضِيلَة فلَان، إِلَّا أَنه قيل: أنشر الله الْمَوْتَىٰ بِالْألف ونشرت الْفَضِيلَة وَالثَّوْب؛ للْفرق بَين الْمَعْنيين"(٢).

قال الأزهري في باب (نشر): (قال الليث: النشر: نشر الريح الطيبة، وعن ثعلب عن ابن الأعرابي قال: النشر: الحياة، والنشر: الريح الطيبة)(٣).

وقال الزجاج: يقال: نشرهم الله أي بعثهم، كما قال الله تعالىٰ: وَإِلَيْهِ النُّشُورُ [ الملك: ١٥ ])(٤).

وذكر الزمخشري في (أساس البلاغة): أن من معانيه أيضـًا: إذاعة الخير ونشره في الناس(٥).

وورد النشر مصدرًا أربع مرات، منها واحدة، في قوله تعالىٰ:( وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا)(المرسلات/ ٣).

---

(١) لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية"؛ للسفاريني،(٢/ ١٥٨).

(٢)"الفروق اللغوية"؛ لأبي هلال العسكري، (ص ٢٨٩) تح/ محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة .

(٣) ينظر:تهذيب اللغة١١/ ٣٣٨.

(٤) ينظر: المرجع السابق ذاته.

(٥) ينظر:أساس البلاغة ٤٥٦.

و ثلاث مرات في قراءة (نَشْرا) بفتح النون وسكون الشين في قوله (بُشْرا بين يدي رحمته)،

في قوله:( وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ)(الأعراف/ ٥٧)، وقوله: ( وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ)(الفرقان/ ٤٨)، وقوله:( وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ)(النمل/ ٦٣)، فقد قرأ- في المواضع الثلاثة- حمزة و الكسائي وخلف:(نَشْرًا) [1] بفتح النون وسكون الشين، وهو مصدر من نشر بعد الطي، أو من قولك: أنشر الله الموتىٰ، أي: بعثهم.

وورد النشور خمس مرات:

١. في قوله تعالىٰ:( وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا )(الفرقان/ ٣).

٢. في قوله تعالىٰ:( بَل كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا )(الفرقان/ ٤٠).

٣. في قوله تعالىٰ:( وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا )(الفرقان/ ٤٧).

٤. في قوله تعالىٰ:( فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ )(فاطر/ ٩).

٥. في قوله تعالىٰ:( وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ )(الملك/ ١٥).

أثر السياق في هذه الآيات الكريمة:

أولا- أكثر ما يرد النشر في الدنيا، وأكثر ما يرد النشور في الآخرة .

ثانيا- نلحظ أن (النشر) أعم، و(النشور) خاص بالبعث .

ثالثا- النشور أكثر حروفا من النشر، وهذا يشير إلىٰ أنه أعظم منه، ولا شك أن بعث الخلق بعد الموت أعظم من نشر الرياح أو المطر، و كل ذلك علىٰ الله يسير.

فأما من خص النشر بالرياح فلكثرة من فسر قوله: (والناشرات نشرا) بالرياح، ولأن النشر الوارد في القراءات لا خلاف في أنه في الرياح؛ لجريان ذكرها في السياق.

---

(١) ينظر: السبعة ٢٨٣، والنشر٢/ ٢٧٠.

والذي أراه أنه أعم من ذلك فقد يطلق علىٰ الرياح والمطر والصحف والملائكة، ولا مخصص لواحد منها.

وأما اختصاص(النشور) بالبعث يوم القيامة فلأن جميع الآيات فيه، ما عدا قولَه:( وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا)، ونشر الإنسان بعد النوم (وهو الوفاة الصغرىٰ) أشبه بنشره بعد الموتاً فوصف النهار بأن فيه اليقظة والنشور من النوم أشبه؛ إذ كان النوم أخا الموت، كما صحّت الرواية عن النبيّ صلىٰ الله عليه وسلم أنه كان يقول إذا أصبح وقام من نومه: " الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَما أماتَناً وإلَيْهِ النُّشُورُ"[1]، وقد قال الله تعالىٰ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنعام:٦٠].

**ثانيا- أثر السياق في دلالة الإطلاق والتقييد لمصادر الفعل الواحد**

ويقصد بالإطلاق هنا ما دل علىٰ الحدث مجردا عن القيود الحسية أو المعنوية، والتقييد ما دل علىٰ الحدث بقيد من صفة ونحوها من خلال السياق[2].

ومن الأصول المقررة أن "المصدر يفرَّقَ بالصَّلات كما يُفرَّقُ بالصِّفات.

ومعنىٰ هذا الكلامِ أنَّك تقولُ "الضربُ"، فتراه جنسًا واحداً، فإذا قلتَ: "الضربُ بالسيف"، صار بتعديتك له إلىٰ السيف نوعًا مَخصوصًا ألا تراكَ تَقولُ: "الضربُ بالسيف غيرُ الضربِ بالعصا"، تُريدُ أنهما نوعانِ مختلفانِ، وأنَّ اجتماعَهما في اسم

(١) ينظر:تفسير الطبري١٩/ ٢٩٧.

(٢) مستنبط من تعريف المطلق والمقيد، كما في الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/ ٤٨٣، وروضة الناظر لابن قدامة،٢/ ١٠٢، ومباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، ٢٥٣.

"الضَّرْب" لا يُوجب اتفاقَهما، لأن الصِّلةَ قد فصلَتْ بينُهما وفرَّقَتْهما. ومن المثالَ البيِّن في ذلك قول المتنبي:

وتوهَّمُوا اللعِبَ الوَغىٰ، والطعنُ في الـ.ـهيجاءِ غير الطعن في الميدان"[(١)]

وقد جاءت بعض المصادر في القرآن الكريم بين الإطلاق والتقييد علىٰ النحو الآتي:

**الحل – الحلال :**

الحِلُّ والحَلال والحِلال و الحَلِيل: نَقِيض الْحَرَام، حَلَّ يَحِلُّ حِلًّا وأَحَلَّه اللهُ وحَلَّله. وَكُلُّ شَيْءٍ أَباحه اللهُ فَهُوَ حَلال، وَمَا حَرَّمه فَهُوَ حَرَام، وَهَذَا لَكَ حِلٌّ أَي حَلال، كما يُقَالُ لِضِدِّهِ حِرْم وحَرام، أَي مُحَرَّم، وأَحْلَلت لَهُ الشيءَ، جَعَلْتُهُ لَهُ حَلالًا. واسْتَحَلَّ الشيءَ: عَدَّه حَلالًا.

ورد الحِل مصدرا في القرآن الكريم خمس مرات، علىٰ النحو الآتي:

١ –في قوله تعالىٰ:( كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُ )(آل عمران/ ٩٣).

والحل مصدر أيضا أريد منه حلالا، والمراد الإخبار عن أكل الطعام بكونه حلالا، لا نفس الطعام لأن الحل كالحرمة مما لا يتعلق بالذوات[(٢)].

٢،٣–في قوله تعالىٰ:(وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلٌّ لَّهُمۡ )(المائدة/ ٥).

وحِلٌّ معناه حلال، والطعام في هذه الآية الذبائح[(٣)].

٤ –في قوله تعالىٰ:( لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّ )(الممتحنة/ ١٠).

(١) ينظر: دلائل الإعجاز ١٩٣.

(٢) ينظر:روح المعاني٢/ ٢١٩.

(٣) المحرر الوجيز لابن عطية٢/ ١٥٨.

عُبِّرَ عَنِ الثَّانِيَةِ بِجُمْلَةٍ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ فَعُكِسَ الْإِخْبَارُ بِالْحِلِّ إِذْ جُعِلَ خَبَرًا عَنْ ضَمِيرِ الرِّجَالِ، وَعُدِّيَ الْفِعْلُ إِلَىٰ الْمُحَلَّلِ بِاللَّامِ دَاخِلَةٍ عَلَىٰ ضَمِيرِ النِّسَاء، فَأَفَاد أَنهم لَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ الْكَافِرُونَ وَلَوْ بَقِيَ الزَّوْجُ فِي بِلَادِ الْإِسْلَام.

وَلِهَذَا ذُكِرَتِ الْجُمْلَةُ الثَّانِيَةُ وَلا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ كَالتَّتِمَّةِ لِحُكْمِ الْجُمْلَةِ الْأُولَىٰ، وَجِيءَ فِي الْجُمْلَةِ الثَّانِيَةِ بِالْمُسْنَدِ فِعْلًا مُضَارِعًا لِدِلَالَتِهِ عَلَىٰ التَّجَدُّدِ لِإِفَادَةِ نَفْيِ الطَّمَاعِيَةِ فِي التَّحْلِيلِ وَلَوْ بِتَجَدُّدِهِ فِي الْحَالِ بِعَقْدٍ جَدِيدٍ أَوِ اتِّفَاقٍ جَدِيدٍ عَلَىٰ الْبَقَاءِ فِي دَارِ الْإِسْلَام.

وَيَجُوزُ فِي الْآيَةِ وَجْهٌ آخَرُ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ تَأْكِيدَ نَفْيِ الْحَالِ فَبَعْدَ أَنْ قَالَ: لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَهُوَ الْأَصْلُ كَمَا عَلِمْتَ آنِفًا أَكَّدَ بِجُمْلَةِ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ أَيْ أَنَّ انْتِفَاءَ الْحِلِّ حَاصِلٌ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ كَمَا يُقَالُ: لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ [١٨٧] ؛ تَأْكِيدًا لِشِدَّةِ التَّلَبُّسِ وَالِاتِّصَالِ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ[1].

٥-في قوله تعالىٰ:( لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ . وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ)(البلد/ ١،٢).

ورد في تفسير قوله تعالىٰ:( وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ) عدة أقوال للمفسرين، أقواها ما يأتي:

القول الأول: أن الحِلّ بمعنىٰ المُسْتحَل، بزنة اسم المفعول، ذكره الزمخشري[2] مراعيا ما سيق القسم من أجله، وهو قوله:(لقد خلقنا الإنسان في كبد)، أي:في مكابدة المشاق، ومعاناة الشدائد، ومن المكابدة والمشاق التي تعرض لها رسول الله ﷺ، ما صنعه به المشركون من استحلالهم إخراج الرسول ﷺ و قتله، في بلد هم يحرمون أن يقتلوا به صيدا، ويعضدوا به شجره، وفي هذا ذم لهم وتعريض بسوء فعلهم، وتثبيت له ﷺ.

(١) ينظر: التحرير والتنوير٢٨/ ١٥، باختصار.

(٢) ينظر:الكشاف للزمخشري٤/ ٧٥٣.

القول الثاني: الحِلّ بمعنىٰ الحلال ضد الحرام، قاله ابن عباس، فيما أخرجه ابن جرير[١] وغيره.

والمعنىٰ: وحلال لك يا رسول الله أن تقاتل به من شئت وأما غيرك فلا، فأحل الله له البلد الحرام ساعة من نهار بقتل من شاء وترك من شاء، فَهَذَا الِاعْتِرَاضُ تَسْلِيَةٌ لِلرَّسُولِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُدِّمَتْ لَهُ قَبْلَ ذِكْرِ إِعْرَاضِ الْمُشْرِكِينَ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَوَعْدٌ بِأَنَّهُ سَيُمَكِّنُهُ مِنْهُمْ.

وَعَلَىٰ كِلَا الْوَجْهَيْنِ فِي مَحْمَلِ صِفَةِ حِلٌّ هُوَ خُصُوصِيَّة لِلنَّبِي ﷺ، وَقَدْ خَصَّصَهُ النَّبِي ﷺ بِيَوْمِ الْفَتْحِ، فَقَالَ: «وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ»[٢].

القول الثالث: أنه مصدر بمعنىٰ اسم الفاعل "حالّ"، يقال:هو حل، أي نزل، يحل حلولا، وهو حل بموضع كذا، كما يقال: حال به، وهذه الجملة لبيان تشريفه ﷺ بجعل حلوله مناطا لإعظام البلد بالإقسام به، وَهُوَ يَقْتَضِي أَنْ تَكُونَ جُمْلَةُ وَأَنْتَ حِلٌّ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ مِنْ ضَمِيرِ أُقْسِمُ، فَيَكُونُ الْقَسَمُ بِالْبَلَدِ مُقَيَّدًا بِاعْتِبَارِ كَوْنِهِ بَلَدَ مُحَمَّدٍ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ تَأْوِيلٌ جَمِيلٌ لَوْ سَاعَدَ عَلَيْهِ ثُبُوتُ اسْتِعْمَالِ حِلٌّ بِمَعْنَىٰ: حَالٌّ،أَيْ مُقِيمٌ فِي مَكَانٍ فَإِنَّ هَذَا لَمْ يَرِدْ فِي كُتُبِ اللُّغَة: «الصِّحَاح» و «اللِّسَان» و «الْقَامُوس» و «مُفْرَدَات الرَّاغِبِ» . وَلَمْ يُعَرِّجْ عَلَيْهِ صَاحِبُ «الْكَشَّافِ» ،وَلَا أَحْسِبُ إِعْرَاضَهُ عَنْهُ إِلَّا لِعَدَمِ ثِقَتِهِ بِصِحَّةِ اسْتِعْمَالِهِ، وَقَالَ الْخَفَاجِيُّ:وَالْحِلُّ: صِفَةٌ أَوْ مَصْدَرٌ بِمَعْنَىٰ الْحَالِّ هُنَا عَلَىٰ هَذَا الْوَجْهِ وَلَا عِبْرَة بِمن أَنْكَرَهُ لِعَدَمِ ثُبُوتِهِ فِي كُتُبِ اللُّغَةِ» اهـ وَكَيْفَ يُقَالُ: لَا عِبْرَةَ بِعَدَمِ ثُبُوتِهِ فِي كُتُبِ اللُّغَةِ، وَهَلِ الْمَرْجِعُ فِي إِثْبَاتِ اللُّغَةِ إلّا كتب أئمتها؟! [٣].

(١) ينظر:تفسير الطبري٢٤/ ٤٣٠.

(٢) أخرجه البخاري ( اللقطة/ ٢٢٥٤ )،ومسلم (الحج/ ١٣٥٥) .

(٣) ينظر: التحرير والتنوير٣٠/ ٣٤٨.

**أثر السياق في هذه الآيات الكريمة:**

أولا- وقع لفظ (حل) في جميع المواضع، ما عدا سورة البلد، في سياق الحديث عن بني إسرائيل، أو أهل الكتاب، أو الكفار، ولم يرد في المؤمنين إلا في مقابلة أحد هؤلاء، سواء في الطعام أم في النكاح، ويفهم منه أنه مقيد، وليس مطلقا كالحلال.

ثانيا- يشير (الحل) إلىٰ أنه كان حلالا في الأصل، و قد يطرأ عليه التحريم لعلة.

ثالثا- وقع الحل مثبتا ومنفيا، ولم يقابل بالضد، أي لم يرد في سياق واحد (حِلّ وحِرْم).

رابعا-جاز تأويل لفظ الحل في بعض المواضع بمعنىٰ الصفة أو اسم الفاعل أو اسم المفعول، بالإضافة إلىٰ كونه مصدرا بمعنىٰ حلال.

خامسا- ورد لفظ الحل في السور المدنية، ما عدا سورة البلد، فهي مكية، وقد اختلف فيه كما سبق.

وورد الحلال مصدرا في القرآن الكريم خمس مرات،علىٰ النحو الآتي:

١. في قوله تعالىٰ:( يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ )(البقرة/ ١٦٨).

٢. في قوله تعالىٰ:( وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۖ )(المائدة/ ٨٨).

٣. في قوله تعالىٰ:( فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ )(الأنفال/ ٦٩).

٤. في قوله تعالىٰ:( قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزۡقٖ فَجَعَلۡتُم مِّنۡهُ حَرَامٗا وَحَلَٰلٗا قُلۡ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ )(يونس/ ٥٩).

٥. في قوله تعالىٰ:( فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ )(النحل/ ١١٤).

**أثر السياق في هذه الآيات الكريمة :**

- وقع لفظ الحلال في سياق الحديث عن إباحة أكل الحلال الطيب، للناس جميعا، أو للمؤمنين، وذلك في أربعة مواضع،سواء أكان الأكل حقيقة كالأطعمة،أم مجازا كالغنائم.
- ورد في موضع سورة يونس للإنكار علىٰ المشركين عندما أحلوا أشياء، وحرموا أخرىٰ من قبل أنفسهم.
- وقع لفظ الحلال موصوفا بالطيب في جميع المواضع، عدا موضع سورة يونس؛ لمجيئه في سياق الإنكار عليهم صنيعهم.

وَالْحَلَالُ: الْمَأْذُونُ فِيهِ شَرْعًا. وَالطَّيِّبُ: مَا يَطِيبُ لِلنَّاسِ طَعْمُهُ وينفعهم قوته.

- وقع لفظ الحلال لما يؤكل مستقبلا، عدا موضع سورة يونس، فوقع لما جعل حلالا في الماضي؛ لمناسبة الإنكار عليهم في ذلك الجَعْل.
- ورد لفظ (حلالا) مثبتا في جميع المواضع، ولم يرد منفيا.
- ورد لفظ الحلال في ثلاث سور مدنية، وسورتين مكيتين، لأن الحلال والحرام من أصول العقيدة والشريعة.
- أتبع ذكر الحلال بما من شأنه المحافظة عليه، والتحذير من الحرام، كالنهي عن اتباع خطوات الشيطان، والأمر بالتقوىٰ، وشكر النعمة.
- نلحظ إطلاق لفظ (الحلال) علىٰ الحلال المطلق، الذي لم يشبه شائبة، ولم يتغير حكمه، بخلاف (الحل).

**الخُلد – الخلود :**

خلد: الخلد: دوام البقاء في دار لا يخرج منها،يقال:خلد يخلد خلدا وخلودا: بقي وأقام[1].

(١) ينظر: لسان العرب(خلد)٣/ ١٦٤.

وورد الخُلْد مصدرا في القرآن ست مرات،هي:

١-في قوله تعالىٰ:( ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ )(يونس/ ٥٢)

أي:ظلموا أنفسهم، بكفرهم بالله (ذوقوا عذاب الخلد) ، تجرّعوا عذابَ الله الدائم لكم أبدًا،الذي لا فناء له ولا زوال[١]

٢-في قوله تعالىٰ:( فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ )(طه/ ١٢٠).

والمعنىٰ:هل أدلك علىٰ شجرة إن أكلت منها خلدت فلم تمت،وملكت ملكا لا ينقضي فيبلىٰ[٢].

٣-في قوله تعالىٰ:( وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ )(الأنبياء/ ٣٤).

٤-في قوله تعالىٰ:( قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا )(الفرقان/ ١٥).

٥-في قوله تعالىٰ:( وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ )(السجدة/ ١٤).

٦-في قوله تعالىٰ:( ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ)(فصلت/ ٢٨).

وورد الخلود مصدرا مرة واحدة في قوله تعالىٰ:( ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ)(ق/ ٣٤).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري ١٥/ ١٠٢.

(٢) ينظر:المرجع السابق ١٨/ ٣٨٧.

**أثر السياق القرآني في هذه الآيات الكريمة :**

أولا- نلحظ في ذكر لفظ (الخلد) أنه خاص، ومقيد، بمضاف قبله كما في(عذاب الخلد، نار الخلد، دار الخلد، جنة الخلد)،أو بقيد معنوي،كما في آية الأنبياء(وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ)؛ لأن المراد به البقاء في الدنيا، وأما لفظ الخلود فهو عام للمؤمنين ترغيبا، وللكافرين والعاصين ترهيبا، وإضافة "يوم" إِلَىٰ الْخُلُودِ بِاعْتِبَارِ أَنَّ أَوَّلَ أَيَّامِ الْخُلُودِ هِيَ أَيَّامٌ ذَاتُ مَقَادِيرَ غَيْرِ مُعْتَادَةٍ،أَوْ بِاعْتِبَارِ اسْتِعْمَالِ يَوْمُ بِمَعْنَىٰ مُطْلَقِ الزَّمَانِ[1].

ثانيا- زيادة المبنىٰ في (الخلود) تدل علىٰ زيادة المعنىٰ،من حيث إنه يشمل الفريقين، والواو تدل علىٰ الاشتمال والاحتواء.

ثالثا- الدلالة الصوتية في كل من (الخلد) و(الخلود) تشير إلىٰ أهمية المد والقصر في التعبير عن المعنىٰ؛ إذ إن السكون الكائن في اللام في لفظ (الخلد) يدل علىٰ إحكام البقاء، في دار لا يخرج منها، كما أن مد الواو في (الخلود) يدل علىٰ دوام البقاء في يوم لا نهاية له.

رابعا- وقع لفظ (الخلود) فاصلة آية، لمناسبة الفواصل السابقة واللاحقة في كونها مختومة بصوت الدال المسبوقة بالمد (ياء أو واو)، مع مراعاة ما سبق من المعنىٰ العام.

خامسا- الخلود يناسب الدخول صوتا ومعنىٰ، فبينهما ما يسميه البلاغيون: الجِنَاسُ الْمَقْلُوبُ النَّاقِصُ، هذا من جهة اللفظ، وأما من جهة المعنىٰ فإن ابتداء الخلود مع الدخول.

(١)ينظر:التحرير والتنوير٢٦/ ٣٢١،باختصار.

# المبحث الثاني
# أثر السياق في تنوع دلالة المصادر

أولا-: أثر السياق في تنوع دلالة ما اتفق حروفا واختلف ضبطا:

**جَهد- جُهد** :

الجَهْدُ والجُهْدُ: الطَّاقَةُ، تَقُولُ: اجْهَد جَهْدَك؛ وَقِيلَ: الجَهْد الْمَشَقَّةُ والجُهْد الطَّاقَةُ، اللَّيْثُ: الجَهْدُ مَا جَهَد الإِنسان مِنْ مَرَضٍ أَو أَمر شَاقٍّ، فَهُوَ مَجْهُودٌ؛ قَالَ: والجُهْد لُغَةً بِهَذَا الْمَعْنَىٰ.

قَالَ ابْنُ الأَثير:هُوَ بِالْفَتْح: الْمَشَقَّةُ، وَقِيلَ: المبالغة والغاية، وبالضم: الْوُسْعُ وَالطَّاقَةُ، وَقِيلَ: هُمَا لُغَتَانِ فِي الْوُسْعِ وَالطَّاقَةِ، فأَما فِي الْمَشَقَّةِ وَالْغَايَةِ فَالْفَتْحُ لَا غَيْرَ[1].

والخلاصة أن الجَهد (بالفتح) هو المشقة، والجُهد (بالضم) بذل الوسع والطاقة، وقد يكونان لغتين بمعنىٰ، ولكن الأول أولىٰ؛ لاختلاف السياق في كل، كما سيتضح بعد.

وورد الجَهد –بفتح الجيم- مصدرا في القرآن الكريم خمس مرات،علىٰ النحو الآتي:

في قولـه تعـالىٰ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ٥٣﴾ [المائدة:٥٣]

في قوله تعالىٰ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشۡعِرُكُمۡ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠٩﴾ [الأنعام:١٠٩]

(١) لسان العرب(جهد)٣/ ١٣٣.

في قولــه تعــالىٰ ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [النحل:٣٨]

في قولـه تعـالىٰ ﴿﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُل لَّا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النور:٥٣]

في قوله تعالىٰ ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾﴾ [فاطر:٤٢]

أثر السياق في هذه الآيات الكريمة:

نلحظ وقوع لفظ (الجهد) بالفتح-في جميع المواضع- مسبوقا بالقسم بالله، ومضافا إلىٰ الأيمان، و من ثَمَّ فإن السياق القرآني يعطينا معنىٰ فريدا للفظ (جَهد) فجَهْدُ الْأَيْمَانِ- بِفَتْحِ الْجِيمِ- أَقْوَاهَا وَأَغْلَظُهَا، وَحَقِيقَةُ الْجَهْدِ التَّعَبُ وَالْمَشَقَّةُ وَمُنْتَهَىٰ الطَّاقَةِ، ثُمَّ أُطْلِقَ عَلَىٰ أَشَدِّ الْفِعْلِ وَنِهَايَةِ قُوَّتِهِ لِمَا بَيْنَ الشِّدَّةِ وَالْمَشَقَّةِ مِنَ الْمُلَازَمَةِ، وَشَاعَ ذَلِكَ فِي كَلَامِهِمْ ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي الْآيَةِ فِي مَعْنَىٰ أوكد الْأَيْمَان وأغلظها، أَيْ أَقْسَمُوا أَقْوَىٰ قَسَمٍ، وَذَلِكَ بِالتَّوْكِيدِ وَالتَّكْرِيرِ وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا يُغَلَّظُ بِهِ الْيَمِينُ عُرْفًا.

يقول الطاهر بن عاشور:"وَلَمْ أَرَ إِطْلَاقَ الْجَهْدِ عَلَىٰ هَذَا الْمَعْنَىٰ فِيمَا قَبْلَ الْقُرْآنِ"[1].

وحقيقة الأمر-فيما أرىٰ- أن دلالة الجَهد علىٰ هذا المعنىٰ يعد من التطور الدلالي، والعامل فيه هو انتقال الدلالة من معناها الحقيقي إلىٰ معنىٰ مجازىٰ، يصبح لطول العهد بها حقيقيا، مع الإخبار عن العامل النفسي لدي المخبر عنهم.

(١)التحرير والتنوير٦/ ٢٣٤.

وقد أظهر السياق أن هذا الاستعمال شائع عند المنافقين والمنكرين وحدهم دون المؤمنين، فالخوف والتردد والتذبذب والارتباك وضعف الثقة كلها قرائن النفاق، كما أن اليقين والطمأنينة والسكينة والثبات والثقة قرائن الإيمان، فالمشقة الناتجة عن الشدة، عامل نفسي لدي المتردد في الأمر، أو الخائف، أو ضعيف الإيمان والثقة بربه، وكلها حالات مَرَضِيَّة للمنافقين، كما في قوله تعالىٰ عنهم: :( مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ)(النساء/ ١٤٣)، وقوله: ( وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ)(التوبة/ ٤٥)، قوله:( وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ)(محمد/ ٣٠)، وقوله:( اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُم جُنَّةً) (المنافقون / ٢)، وغير ذلك، و الوقوف علىٰ أثر السياق في إظهار تلكم المعاني الدقيقة يحتاج إلىٰ فضل تدبر، والله الموفق!.

وَانْتَصَبَ جَهْدَ عَلَىٰ الْمَفْعُولِيَّةِ الْمُطْلَقَةِ؛ لِأَنَّهُ بِإِضَافَتِهِ إِلَىٰ «الْأَيْمَانِ» صَارَ مِنْ نَوْعِ الْيَمِينِ فَكَانَ مَفْعُولًا مُطْلَقًا مُبَيِّنًا لِلنَّوْعِ.

وَفِي "الْكَشَّافِ" جَعَلَهُ مَصْدَرًا بَدَلًا مِنْ فِعْلِهِ وَجَعَلَ التَّقْدِيرَ: أَقْسَمُوا بِاللهِ يُجْهِدُونَ أَيْمَانَهُمْ جَهْدًا،فَلَمَّا حُذِفَ الْفِعْلُ وَجُعِلَ الْمَفْعُولُ الْمُطْلَقُ عِوَضًا عَنْهُ قُدِّمَ الْمَفْعُولُ الْمُطْلَقُ عَلَىٰ الْمَفْعُولِ بِهِ وَأُضِيفَ إِلَيْهِ[1].

وورد الجُهد –بضم الجيم– في موضع واحد، وذلك في قوله تعالىٰ:( الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ منَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)(التوبة/ ٧٩).

واللمز هو الطَّعن في أعراض النّاس أو الانتقاص منهم بالتلميح أو التصريح من خلفهم، و يعد مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ لَا يَسْلَمُ أَحَدٌ مِنْ عَيْبِهِمْ وَلَمْزِهِمْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ حَتَّىٰ وَلَا الْمُتَصَدِّقُونَ يَسْلَمُونَ مِنْهُمْ، إِنْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِمَالٍ جَزِيلٍ قَالُوا هَذَا مُرَاءٍ، وَإِنْ جَاءَ بِشَيْءٍ يَسِيرٍ قَالُوا: إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عن صدقة هذا.

(١) ينظر: الكشاف للزمخشري ٣/ ٢٥٠.

وقد نَزَلَتْ بِسَبَبِ حَادِثٍ حَدَثَ فِي مُدَّةِ نُزُولِ السُّورَةِ؛ ذَلِكَ أَنَّ النَّبِي ﷺ حَثَّ النَّاسَ عَلَىٰ الصَّدَقَةِ فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ بِأَرْبَعَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ، وَجَاءَ عَاصِمُ بْنُ عَدِيٍّ بِأَوْسُقٍ كَثِيرَةٍ مِنْ تَمْرٍ، وَجَاءَ أَبُو عَقِيلٍ بِصَاعٍ مِنْ تَمْرٍ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: مَا أَعْطَىٰ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَعَاصِمٌ إِلَّا رِيَاءً وَأَحَبَّ أَبُو عَقِيلٍ أَنْ يُذَكِّرَ بِنَفْسِهِ لِيُعْطَىٰ مِنَ الصَّدَقَاتِ فَأَنْزَلَ اللهُ فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ[1].

وَعُطِفَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ عَلَىٰ الْمُطَّوِّعِينَ وَهُمْ مِنْهُمْ، اهْتِمَامًا بِشَأْنِهِمْ والجُهد- بِضَمِّ الْجِيمِ- الطَّاقَةُ، وَأُطْلِقَتِ الطَّاقَةُ عَلَىٰ مُسَبَّبِهَا النَّاشِئِ عَنْهَا.

وَحُذِفَ مَفْعُولُ يَجِدُونَ لِظُهُورِهِ مِنْ قَوْلِهِ: الصَّدَقاتِ أَيْ لَا يَجِدُونَ مَا يَتَصَدَّقُونَ بِهِ إِلَّا جُهْدَهُمْ.

وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ هُمْ مُنْدَرِجُونَ فِي الْمُطَّوِّعِينَ، ذُكِرُوا تَشْرِيفًا لَهُمْ، حَيْثُ مَا فَاتَتْهُمُ الصَّدَقَةُ بَلْ تَصَدَّقُوا بِالشَّيْءِ، وَإِنْ كَانُوا أَشَدَّ النَّاسِ حَاجَةً إِلَيْهِ، وَأَتْعَبَهُمْ فِي تَحْصِيلِ مَا تَصَدَّقُوا بِهِ كَأَبِي عَقِيلٍ، وَأَبِي خَيْثَمَةَ.[2] والْمُرَادُ لَا يَجِدُونَ سَبِيلًا إِلَىٰ إِيجَادِ مَا يَتَصَدَّقُونَ بِهِ إِلَّا طَاقَتَهُمْ، أَيْ جُهْدَ أَبْدَانِهِمْ،أَوْ يَكُونُ وَجَدَ هُنَا هُوَ الَّذِي بِمَعْنَىٰ كَانَ ذَا جِدَّةٍ، أَيْ غِنًى فَلَا يُقَدَّرُ لَهُ مَفْعُولٌ،أَي الَّذِينَ لَا مَالَ لَهُمْ إِلَّا جُهْدَهُمْ وَهَذَا أَحْسَنُ، وَفِيهِ ثَنَاءٌ عَلَىٰ قُوَّةِ الْبَدَنِ وَالْعَمَلِ وَأَنَّهَا تَقُومُ مَقَامَ الْمَالِ.

وَهَذَا أَصْلٌ عَظِيمٌ فِي اعْتِبَارِ أُصُولِ التَّرْوَةِ الْعَامَّةِ وَالتَّنْوِيهِ بِشَأْنِ الْعَامِلِ[3].

وقد قرئت (جَهدهم) بفتح الجيم[1]، ويمكن أن تكون عائدة علىٰ المنافقين، وذلك لأن اسم الموصول (والذين لايجدون إلا جَهدهم) يجوز أن يكون

(١) ينظر:تفسير ابن كثير٤/ ١٦٣، و الكشاف٢/ ٢٩٣، والتحرير والتنوير١٠/ ٢٧٤

(٢) البحر المحيط٥/ ٤٦٨.

(٣) التحرير والتنوير١٠/ ٢٧٥.

معطوفا علىٰ (الذين يلمزون)-كما ذكر ذلك العكبري[٢]، ولم يوضحه، وأنكره أبو حيان بقوله:" وَهَذَا غَيْرُ مُمْكِنٍ،لأَنَّ الْمَعْطُوفَ عَلَىٰ الْمُبْتَدَأِ مُشَارِكٌ لَهُ فِي الْخَبَرِ، وَلَا يمكن مشاركة الذين لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ مَعَ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ إِلَّا إن كانوا مثلهم منافقين"[٣].

يقصد أن قوله: (والذين لايجدون) متصل بقوله:(فيسخرون)، وهذا الأخير خبر المبتدأ (الذين يلمزون)، فلا يمكن عطفه علىٰ المبتدأ إلا إذا كانوا مثلهم في النفاق.

قلت: ولعل هذا الذي استثناه أبو حيان هو ما أراده العكبري علىٰ قراءة "جَهدهم"بالفتح.

ووجهه:أن "الذين لا يجدون إلا جَهدهم" هم الذين ليس لهم نصيب سوىٰ المشقة والتعب (أي:مرض قلوبهم)، فقلوبهم فارغة إلا من النفاق، فلم يتصدقوا، ولم يسلم المتصدقون من لمزهم، وعليه فخبر المبتدأ هو قوله "سخر الله منهم" وَعَلَىٰ هَذَا الْمَعْنَىٰ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ بِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ يُفَسِّرُهُ سَخِرَ، تَقْدِيرُهُ عَابَ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ، وَقِيلَ: الْخَبَرُ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: مِنْهُمُ الَّذِينَ يَلْمِزُونَ، وعلىٰ هذا المعنىٰ يكون قوله (الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ) شاملا لمن تصدق بالكثير و بالقليل، والله أعلم!

**الحَجّ – الحِجّ :**

الْحِجَاجُ، وَهُوَ الْعَظْمُ الْمُسْتَدِيرُ حَوْلَ الْعَيْنِ[٤]، وهو يحمي مقلة العين بكل ما حولها، وهذا أصل اشتقاق (حجج)، ومنه الحج؛ لأنه دخول في حمىٰ الحرم، ونلحظ التشابه بين حال العين المحفوفة بالعظم المستدير، وحال الكعبة

---

(١) هي قراءة شاذة،نسبت إلىٰ عطاء،ومجاهد،وابن هرمز،كما في مختصر ابن خالويه ٥٤، ومعاني القرآن للفراء١/ ٢٣٤،والكشاف ٢/ ٥٠،والبحر المحيط٥/ ٧٥.

(٢)التبيان للعكبري٢/ ٦٥٢.

(٣) ينظر:البحر المحيط٥/ ٤٦٩.

(٤) ينظر مقاييس اللغة (حج)٢/ ٣١.

المشرفة المحفوفة بالطائفين، هذا من جانب، ومن جانب آخر نلحظ حال الحاج الضعيف الذي قصد البيت بالزيارة ودخول الحرم، وإحاطته بالأمن من كل جانب، ولا تعارض بينهما ؛ فإن المسلمين مأمورون بتأمين البيت ومن دخله، تحقيقا لقوله تعالىٰ: ( وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا)، والدخول هو الملحظ القوي في هذا التركيب، وكأن الأصل في الحج قديما دخول البيت (أي:الكعبة)، والتعبير عنه بالقصد أي الزيارة صحيح؛ لأن القصد دخول في وسط شيء متجمع، وهو المعنىٰ اللغوي للحج .

قَالَ الأَزهري: الحَجُّ قَضاءُ نُسُكٍ سَنَةٍ واحدةٍ، وبعضٌ يَكسر الْحَاءَ، فَيَقُولُ: الحِجُّ والحِجَّةُ؛ وَقُرِئَ: وَلِلَّهِ عَلَىٰ النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ، وَالْفَتْحُ أَكثر.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: وَلِلَّهِ عَلَىٰ النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ؛ يقرأُ بِفَتْحِ الْحَاءِ وَكَسْرِهَا، وَالْفَتْحُ الأَصل.

والحَجُّ والحِجُّ لَيْسَ عِنْدَ الْكِسَائِيِّ بَيْنَهُمَا فُرْقانٌ، وَغَيْرُهُ يَقُولُ: الحَجُّ حَجُّ البيْتِ، والحِجُّ عَمَلُ السَّنَةِ. وَتَقُولُ: حَجَجْتُ فُلَانًا إِذا أَتَيْتَه مرَّة بَعْدَ مَرَّةٍ، فَقِيلَ: حُجَّ البَيْتُ لأَن الناسَ يأْتونه كلَّ سَنَةٍ[1].

وورد (الحج) مصدرا بفتح الحاء تسع مرات،علىٰ النحو الآتي:

١. في قوله تعالىٰ:( يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ)(البقرة/ ١٨٩).

٢. وثلاث مرات في قوله تعالىٰ:( وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ

(١) ينظر:لسان العرب(حج)٢/ ٢٢٧.

فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾(البقرة/ ١٩٦).

٣. وثلاث مرات في قوله تعالىٰ:( ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ )(البقرة/ ١٩٧).

٤. ومرة في قوله تعالىٰ:( وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُۥ )(التوبة/ ٣).

ومرة في قوله تعالىٰ:( وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾(الحج/ ٢٧).

وورد (الحِج) بالكسر في قوله:( وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)( عمران/ ٩٧).

**أثر السياق في هذه الآيات:**

أولا- ورد لفظ (الحج) تسع مرات بفتح الحاء، علىٰ قراءة الجمهور، وهي لغة الحجاز، قرأها الحسن وابن أبي اسحق «الحِجّ» بكسر الحاء، وهي لغة نجد، وهما مصدران -كما ذكر سيبويه[1]، فالحج بالفتح كالرَّد والسَّد، وبالكسر كالذِكر.

ثانيا- وقع لفظ (الحج) في ثلاث سور مدنية، هي: [سورة البقرة سبع مرات، كما ورد مرة في كل من سورتي الحج والتوبة]؛ لأن فرض الحج كان في المدينة المنورة في السنة التاسعة، ولم يفرضه الله تعالىٰ قبل ذلك؛ لأن فرضه قبل ذلك

(١) ينظر: البحر المحيط ٢/ ٢٧٨.

ينافي الحكمة، وذلك أن قريشًا منعت الرسولﷺ من العمرة، فمن المتوقع أن تمنعه من الحج، ومكة قبل الفتح بلاد كفر، ولكن تحررت من الكفر بعد الفتح، وصار إيجاب الحج علىٰ الناس موافقًا للحكمة.

ثالثا- ورد كسر الحاء وفتحها معا في لفظ (حج) في القراءات المتواترة[١] مرة واحدة، كما سبق.

و فرّق الراغب الأصفهاني بين الكسر والفتح في المعنىٰ قائلا: إنها بالفتح مصدر وبالكسر اسم[٢]، وقال: حسين الجعفي: الحج مفتوح اسم ومكسور عمل، وقال: الطبري: ولم نر أحدًا من أهل العربية ادعىٰ فرقًا بينهما في معنىٰ ولا غيره[٣].

وردت الكلمة بالكسر -علىٰ الأشهر في القراءة- في سورة آل عمران عندما اقترنت بالأمر الإلهي بالفريضة وبيان ركن الدين، في حين جاءت قراءة الفتح مقترنة بالآداب اللازمة لهذه الفريضة، وما ينبغي فيه، أو مقترنة بالعمرة.

**نِعْمة - نَعْمة :**

نَعِمَ الشيءُ نَعَمًا، ونَعْمَةً، ونَعِيمًا: لانَ مَلْمَسُه [٤].

النِّعمة-بكسر النون: لين العيش وخفضه[٥] هي ما يقصد به الإحسان والنفي لا لغرض ولا لعوض[١].

---

(١) فقراءة الكسر هي قراءة حفص عن عاصم،وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو جعفر، والأعمش، والحسن، وابن أبي اسحاق، وطلحة بن مصرف، وهي لغة نجد، وقيل: الكسر اسم، في حين قرأها ابن كثير ونافع وأبو عمرو، وابن عامر وأبو بكر عن عاصم، ويعقوب: «حَجّ البيت» بفتح الحاء وهي لغة أهل العالية والحجاز وأسد، ينظر:السبعة٢١٤، والنشر٢/ ٢٤١.

(٢) ينظر: مفردات في غريب القرآن (الحج) ٢١٨.

(٣) ينظر:تفسير الطبري٦/ ٤٦.

(٤) ينظر:المعجم الوسيط(نعم) ،٢/ ٩٣٥.

(٥) ينظر: البحر المحيط١/ ٤٦.

والنَّعمة-بفتح النون:التنعم والترفه.

والنعماء هي النعمة الظاهرة وذلك أنها أخرجت مخرج الأحوال الظاهرة مثل الحمراء والبيضاء، والنِّعمة قد تكون خافية فلا تسمىٰ نَعماء[٢].

وتركيب (ن ع م) يدور حول: رقة الشيء وليونته، وخلوه من الغلظ والخشونة[٣].

وهذا المعنىٰ -لا شك- ثابت في النِّعمة والنَّعمة- والسياق هو الذي يحدد المراد منهما.

قال الجوهري: النِعْمَةُ: بكسر النون) اليدُ،والصنيعةُ، والمنَّةُ، وما أُنْعِمَ به عليك. وكذلك النُعْمىٰ. فإن فتحت النون مددت فقلت: النَعْماءُ. والنَعيمُ مثله. وفلانٌ واسعُ النِعْمَةِ، أي واسع المال، والنَعْمَةُ بالفتح: التَنْعيمُ. يقال: نَعَّنَهُ الله وناعَمَهُ فتَنَعَّمَ، وتقول: أَنْعَمَ الله عليك من النِعْمَةِ، وأَنْعَمَ الله صباحَك من النُعومَةِ. وأَنْعَمَ له،أي قال له نَعَمْ[٤].

قال القفال: «النعمة بكسر النون المنة وما ينعم به الرجل علىٰ صاحبه . قال تعالىٰ:(وتلك نعمة تمنها عليّ) الشعراء: ٢٢) وأما النَّعمة بفتح النون فهو ما يتنعم به في العيش، قال تعالىٰ :(وَنَعْمَةٍكَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ) (الدخان: ٢٧)[٥].

قال ابن عاشور عند تفسيرها:" وَالنَّعْمَةُ بِفَتْحِ النُّونِ: اسْمٌ لِلتَّنَعُّمِ مَصُوغٌ عَلَىٰ وَزْنَةِ الْمَرَّةِ. وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهِ الْمَرَّةَ بَلْ مُطْلَقُ الْمَصْدَرِ بِاعْتِبَارِ أَنَّ مَجْمُوعَ أَحْوَالِ

---

(١) كتاب التعريفات للجرجاني١/ ٢٤٢، دار الكتب العلمية بيروت -لبنان،ط/ ١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

(٢) الفروق اللغوية ١٩٣.

(٣) ينظر:المعجم الاشتقاقي المؤصل (نعم)٤/ ٢٢٢٥.

(٤) ينظر:الصحاح في اللغة (نعم).

(٥) مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي ج٢ ص٧٩

النَّعِيمِ صَارَ كَالشَّيْءِ الْوَاحِدِ وَهُوَ أَبْلَغُ وَأَجْمَعُ فِي تَصْوِيرِ مَعْنَىٰ الْمَصْدَرِ،وَهَذَا هُوَ الْمُنَاسِبُ لِفِعْلِ تَرَكُوا لِأَنَّ الْمَتْرُوكَ هُوَ أَشْخَاصُ الْأُمُورِ الَّتِي يُنْعَمُ بِهَا وَلَيْسَ الْمَتْرُوكُ هُوَ الْمَعْنَىٰ الْمَصْدَرِيُّ"[1].

وقد يقال: نعمة ونعمة-بفتح النون وكسرها- حكاه الماوردي.

قال: وفي الفرق بينهما وجهان:

أحدهما - أنها بكسر النون في الملك، وبفتحها في البدن والدين، قاله النضر بن شميل.

الثاني - أنها بالكسر من المنة وهو الإفضال والعطية، وبالفتح من التنعيم وهو سعة العيش والراحة، قاله ابن زياد[2].

هذا، وقد وردت (النِّعمة) بكسر النون ستا وأربعين مرة، ومنه قوله تعالىٰ:( وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)(البقرة/ ٢١١).

ووردت (النَّعْمة) بفتح النون مرتين:

١. في قوله تعالىٰ:( وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ )(الدخان/ ٢٧).

٢. في قوله تعالىٰ:( وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا)(المزمل/ ١١).

وورد لفظ (نعماء) مصدرا في موضع واحد، في قوله تعالىٰ:( وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ)(هود/ ١٠).

**أثر السياق في هذه الآيات الكريمة:**

أولا- نلحظ أن (النِّعْمة)-بالكسر أعم من (النَّعمة) بالفتح؛ إذْ وردت النعمة -بكسر النون-في الخير والشر، والظاهرة والخفية، والحسية والمعنوية، ولم ترد النَّعمة بالفتح إلا في مقام الحديث عن العبرة بهؤلاء الذين تركوا

(١) ينظر:التحرير والتنوير٢٥/ ٣٠٢.

(٢) ينظر:تفسير القرطبي١٦/ ١٣٨.

وراءهم كثيرا من النعم، التي شغلوا بها عن عبادة الله تعالىٰ، فكانت النَّعمة لهم استدراجا ولم تكن لهم سراجا.

ثانيا- في موضعي ذكر (النَّعمة) بالفتح لم يقرأ أحد من القراء بكسر النون، حتىٰ في القراءات الشاذة؛ وهذا يدعو للتأمل في خصوصية ذكرها، وسر اختيار القرآن لها، وأرىٰ استبعاد القول بأنهما بمعنىٰ واحد في كل السياقات.

ثالثا- اختصاص النَّعمة- مفتوحة النون بالمد، فيقال:النَّعْماء، ولا يأتي هذا مع مكسورة النون، وهذا الوزن (فَعلاء) يجيء كثيرا وصفا مؤنثا لأفعل كبيضاء وحمراء، دالا علىٰ ثبوت الصفة في صاحبها، وظهورها فيه، وهذا يشير إلىٰ تغلغل النعمة فيه، فكأنه أُشْرِبَها، من شدة تعلق صاحبها بها.

ويمكن استنباط المعنىٰ الدقيق لها من خلال السياق ودلالة الصوت والوزن كما يأتي:

(أ) النعماء امتداد للنعمة –بالفتح، صوتا ووزنا ومعنىٰ.

(ب) تختص النعماء بالنعم الظاهرة الجلية.

(ج) يشير السياق إلىٰ سبب تعلق صاحب النعماء بها، وهو مجيئها بعد ضراء، فما أعظم الفرح بعد الترح، وهي صورة معبرة لهذا الإنسان، الذي يعيش مع النعمة وينسىٰ المنعم، ويطغىٰ عليه فرحه وبطره، فلا يتذكر ماضيه ولا يفكر في مآله.

## ثانيا- زيادة المصادر لزيادة المعاني:

### الخُسر – الخَسار – الخُسران :

خسر: خَسِرَ خَسْرًا وَخَسَرًا،[وخُسْرا،وخُسُرا] وَخُسْرَانًا وَخُسَارَةً وَخَسَارًا ،فَهُوَ خَاسِرٌ وَخَسِرٌ ،كُلُّهُ: ضَلَّ . وَالْخَسَارُ وَالْخَسَارَةُ وَالْخَيْسَرَىٰ: الضَّلَالُ وَالْهَلَاكُ

،وَالْيَاءُ فِيهِ زَائِدَةٌ . وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ:(وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢)؛ الْفَرَّاءُ: لَفِي عُقُوبَةٍ بِذَنْبِهِ وَأَنْ يَخْسَرَ أَهْلَهُ وَمَنْزِلَهُ فِي الْجَنَّةِ [١].

يدور معنىٰ التركيب حول: نقص الشيء بذهاب أجزاء منه فقدا، كنقص المكيلات والموزونات، والأجر، وسائر ما في القرآن بمعنىٰ فوت ما كان يمكن أن يفوز به من ثواب ونعيم لو آمن بالله واتبع شرعه[٢].

ورد المصدر (الخُسْر) في القرآن مرتين هما:

- في قوله تعالىٰ:( فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا )(الطلاق/ ٩).

يَعْنِي غَبْنًا لِأَنَّهُمْ بَاعُوا نَعِيم الْآخِرَة بِخَسِيسٍ مِنْ الدُّنْيَا قَلِيلٍ وَآثَرُوا اِتِّبَاع أَهْوَائِهِمْ عَلَىٰ اِتِّبَاع أَمْر الله [٣].

وقال الآلوسي: خُسْراً هائلا لا خُسر وراءه[٤].

- في قوله تعالىٰ:( وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢)(العصر/ ١،٢).

أي: خسران في متاجرهم ومساعيهم وصرف أعمارهم في مباغيهم التي لا ينتفعون بها في الآخرة بل ربما تضرّ بهم إذا حلوا الساهرة[٥].

وَالْخُسْرُ: مَصْدَرٌ وَهُوَ ضِدُّ الرِّبْحِ فِي التِّجَارَةِ، اسْتُعِيرَ هُنَا لِسُوءِ الْعَاقِبَةِ لِمَنْ يَظُنُّ لِنَفْسِهِ عَاقِبَةً حَسَنَةً، وَتِلْكَ هِيَ الْعَاقِبَةُ الدَّائِمَةُ، وَهِيَ عَاقِبَةُ الْإِنْسَانِ فِي آخِرَتِهِ مِنْ نَعِيمٍ أَوْ عَذَابٍ[٦].

---

(١) ينظر: لسان العرب(خسر)،٤/ ٢٣٨، والزيادة التي بين المعكوفتين من القاموس.

(٢) ينظر:المعجم الاشتقاقي المؤصل (خسر)١/ ٥٥٧.

(٣) ينظر: تفسير الطبري٢٣/ ٤٦٦.

(٤) روح المعاني١٤/ ٣٣٦.

(٥)المرجع السابق١٥/ ٤٥٨.

(٦) التحرير والتنوير٣٠/ ٥٣١.

وَتَنْكِيرُ خُسْرٍ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلتَّنْوِيعِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مُفِيدًا لِلتَّعْظِيمِ وَالتَّعْمِيمِ فِي مَقَامِ التَّهْوِيلِ وَفِي سِيَاقِ الْقَسَمِ.وَالْمَعْنَىٰ: إِنَّ النَّاسَ لَفِي خُسْرَانٍ عَظِيمٍ وَهُمُ الْمُشْرِكُونَ[1]

وورد الخَسار مصدرا ثلاث مرات، و هي:

- في قوله تعالىٰ:( وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا )(الإسراء/ ٨٢).

والمعنىٰ : أن سماع المؤمنين للقرآن يحملهم علىٰ العمل الصالح والتزود للآخرة، فيكون القرآن شفاء ورحمة، و سماع الظالمين يزيدهم خسارا؛ لأنه كلما تلي عليهم أو سمعوه ازدادوا غيظا وحقدا وحسدا، فلم ينتفعوا بما فيه، فازدادوا إثما وبعدا ، فخسروا ما كان فيه ربحهم و نجاحهم.

- وفي قوله تعالىٰ:( وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا )(فاطر/ ٣٩).

وَالْخَسَارُ: مَصْدَرُ خَسِرَ مِثْلُ الْخَسَارَةِ، وَهُوَ: نُقْصَانُ التِّجَارَةِ، وَاسْتُعِيرَ لِخَيْبَةِ الْعَمَلِ شَبَّهَ عَمَلَهُمْ فِي الْكُفْرِ بِعَمَلِ التَّاجِرِ وَالْخَاسِرِ، أَيِ الَّذِي بَارَتْ سِلْعَتُهُ فَبَاعَ بِأَقَلَّ مِمَّا اشْتَرَاهَا بِهِ فَأَصَابَهُ الْخَسَارُ فَكُلَّمَا زَادَ بَيْعًا زَادَتْ خَسَارَتُهُ حَتَّىٰ تُفْضِيَ بِهِ إِلَىٰ الْإِفْلَاسِ[2].

- وفي قوله تعالىٰ:( قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا)(نوح/ ٢١).

(١) ينظر: التحرير والتنوير٣٠/ ٥٣١.

(٢) ينظر: المرجع السابق٢٢/ ٣٢٣.

وَالْمَعْنَىٰ: وَاتَّبَعُوا أَهْلَ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ الَّتِي لَمْ تَزِدْهُمْ تِلْكَ الْأَمْوَالُ وَالْأَوْلَادُ إِلَّا خَسَارًا لِأَنَّهُمُ اسْتَعْمَلُوهَا فِي تَأْيِيدِ الْكُفْرِ وَالْفَسَادِ فَزَادَتْهُمْ خَسَارًا؛ إِذْ لَوْ لَمْ تَكُنْ لَهُمْ أَمْوَالٌ وَلَا أَوْلَادٌ لَكَانُوا أَقَلَّ ارْتِكَابًا لِلْفَسَادِ(١).

وورد الخسران مصدرا ثلاث مرات هي:

- في قوله تعالىٰ:( وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا )(النساء/ ١١٩).

فقد هلك هلاكًا، وبخس نفسه حظَّها، فأوبقها بخسًا"مبينًا" = يبين عن عَطَبه وهلاكه، لأن الشيطان لا يملك له نصرًا من الله إذا عاقبه علىٰ معصيته إياه في خلافه أمرَه، بل يخذُله عند حاجته إليه(٢).

- في قوله تعالىٰ:( وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ )(الحج/ ١١).

وخسارته الدنيا والآخرة هي الخسران: يعني الهلاك المبين: يقول: يبين لمن فكّر فيه وتدبره أنه قد خسر الدنيا والآخرة(٣).

- في قوله تعالىٰ:( قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ )(الزمر/ ١٥).

والمعنىٰ: قل يا محمد لهم: إن الهالكين الذين غَبَنوا أنفسهم، وهلكت بعذاب الله أهلوهم مع أنفسهم، فلم يكن لهم إذ دخلوا النار فيها أهل، وقد كان

(١) ينظر: المرجع السابق٢٩/ ٢٠٧.
(٢) تفسير الطبري٩/ ٢٢٤.
(٣) تفسير الطبري١٨/ ٥٧٧.

لهم في الدنيا أهلون ألا إن خسران هؤلاء المشركين أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، وذلك هلاكها هو الهلاك الذي يبين لمن عاينه وعلمه أنه الخسران[1].

**أثر السياق في هذه الآيات الكريمة:**

أولا- تشير المصادر الثلاثة (خُسر، وخَسَار، وخُسْران)إلىٰ أنواع ثلاثة من الخسارة، تتعلق بالغرض الذي سيقت من أجله الآيات، فالخسر في التحذير الجماعي للأمة أو جنس الإنسان من مغبة الكفر والعصيان، والخسار يكون لمن لم ينتفع بما هو متوقع الانتفاع به، كشفاء القرآن، وهداية الإسلام، والخسران في عدم الانتفاع بشيء في الدنيا والآخرة، وهو أشدها .

ثانيا- زيادة المبنىٰ في الألفاظ الثلاثة تدل علىٰ زيادة المعنىٰ،فلفظ (خسران) أكثر أصواتا من (خسار) و(خسر) وهو أقواها دلالة علىٰ الخسارة.

ثالثا- وقوع المصادر الثلاثة في نهاية الآيات، وتناسبها مع الفواصل السابقة واللاحقة، وهذا يدل علىٰ الانسجام الصوتي والدلالي في القرآن الكريم.

رابعا- وقع لفظ (الخسران) مصدرا موصوفا بالمبين في مواضعه الثلاثة، وهذا يدل علىٰ ما يأتي:

١- شدة الخسارة، واستحالة تعويضها.

٢- التنفير من فعل أسباب الوقوع في ذلك الخسران.

٣- الحكم علىٰ هؤلاء الخاسرين بالسفه وعدم التفكير فيما يصلحهم،فكيف يقدم العاقل علىٰ تجارة مكتوب عليها (تجارة خاسرة)؟!

٤- الجمع بين الخسارة (عدم الربح) والعذاب .

خامسا- ورد المصدران (خُسر وخَسار) في جميع مواضعهما، في سور مكية، لمناسبة الحديث عن خسارة الكافرين والظالمين، بسبب عدم انتفاعهم بما جاء به النبي ﷺ من الهدىٰ والنور.

---

(١) المرجع السابق٢١/ ٢٧٢.

سادسا- وقع المصدر (الخسران) في سورتين مدنيتين، هما(النساء والحج)، للتعبير عن التمادي في الخسارة لمن وضح له الطريق فلم يهتد، ففي النساء لمناسبة معاداة المشركين والمنافقين للإسلام بعد الهجرة،فهي داخلة تحت قوله:( وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا )(النساء/ ١١٥)، وفي الحج- لمناسبة تردد المنافقين وتذبذبهم في العبادة، والمتأمل في هذه الآية الكريمة يراها قد صورت المذبذبين في عقيدتهم أكمل تصوير، فهم يقيسون العقيدة بميزان الصفقات التجارية، إن ربحوا من ورائها فرحوا، وإن خسروا فيها أصابهم الغم والحزن.

وشبيه بهذه الآية قوله- تعالىٰ- في شأن المنافقين:(وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْها رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْها إِذا هُمْ يَسْخَطُونَ)(التوبة/ ٥٨).

كما ورد (الخسران) في سورة مكية، وهي سورة(الزمر)، وذلك لمشابهة حال الكافرين حال المنافقين في عبادتهم، ويتجلىٰ ذلك في السباق، حيث إنهم يتخذون آلهتهم المزعومة سبيلا لتقربهم من الله زلفىٰ، (وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ )، وفي هذه السورة تصوير لمشهد الخسران المبين، وهو مشهد رعيب حقا. مشهد النار في هيئة ظلل من فوقهم وظلل من تحتهم، وهم في طيات هذه الظلل المعتمة تلفهم وتحتوي عليهم، وهي من النار!

إنه مشهد رعيب، يعرضه الله لعباده وهم بعد في الأرض يملكون أن ينأوا بأنفسهم عن طريقه. ويخوفهم مغبته لعلهم يجتنبونه، ذلك يخوف الله به عباده، ويناديهم ليحذروا ويتقوا ويسلموا: يا عباد فاتقون .

# المبحث الثالث:
# أثر السياق في تحديد معاني الصيغ في المصادر المتعددة

قد يرد للفعل الواحد أكثر من مصدر، ولكنها تختلف في صيغها، و مهما يك من فروق في الصيغ، فإن بيان المعاني الدقيقة لكل مصدر، لا تظهر إلا من خلال السياق، كالأمثلة الآتية:

**البناء–البنيان :**

بنىٰ الشيء بَنْيا، وبناء، وبنيانا، أقام جداره ونحوه، يقال بنىٰ السفينة وبنىٰ الخباء، واستعمل مجازا في معان كثيرة، تدور حول التأسيس والتنمية [1].

والبَنْيُ: نَقيضُ الهَدْم، بَنَىٰ البَنَّاءُ البِناءَ بَنْيـًا وبِنَاءً وبِنًىٰ، مَقْصُورٌ، وبُنْيَانـًا وبِنْيَةً وبِنَايَةً وابْتَنَاه وبَنَّاه[2].

وَالْبِنَاءُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ مَا يُرْفَعُ سُمْكُهُ عَلَىٰ الْأَرْضِ لِلْوِقَايَةِ سَوَاءً كَانَ مِنْ حَجَرٍ أَوْ مِنْ أَدَمٍ أَوْ مِنْ شَعْرٍ، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: بَنَىٰ عَلَىٰ امْرَأَتِهِ إِذَا تَزَوَّجَ لِأَنَّ الْمُتَزَوِّجَ يَجْعَلُ بَيْتًا يَسْكُنُ فِيهِ مَعَ امْرَأَتِهِ وَقَدِ اشْتَهَرَ اطلاق الْبناء علىٰ الْقبَّة مَنْ أَدَمٍ وَلِذَلِكَ سَمُّوا الْأَدَمَ الَّذِي تُبْنَىٰ مِنْهُ الْقِبَابُ مَبْنَاةً بِفَتْحِ الْمِيمِ وَكَسْرِهَا[3]

وورد البناء في القرآن الكريم مرتين، كما يأتي:

١- في قوله تعالىٰ:( ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً )(البقرة/ ٢٢).

والمراد بكون السَّماءَ بِناءً أنها كالقبة المضروبة أو أنها كالسقف للأرض، ويقال لسقف البيت بناء، وروي هذا عن ابن عباس رضي الله تعالىٰ عنهما[4].

---

(١) المعجم الوسيط (بنىٰ)١/ ٧٢.

(٢) لسان العرب (بنىٰ) ١٤/ ٩٣.

(٣) التحرير والتنوير١/ ٣٣٢.

(٤) روح المعاني١/ ١٩٠.

٢- في قوله تعالىٰ:( ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً )(غافر/ ٦٤).

أي قبة ومنه أبنية العرب لقبابهم التي تضرب وإطلاق ذلك علىٰ السماء علىٰ سبيل التشبيه، وهو تشبيه بليغ وفيه إشارة لكريتها.

وهذا بيان لفضله تعالىٰ المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق بالزمان[1].

**أثر السياق القرآني في هاتين الآيتين الكريمتين:**

- وقع لفظ البناء، وعني به القبة أو السقف .
- وقع لفظ البناء خاصا بالسماء،ومقابلا لجعل الأرض فراشا أو قرارا.
- أفاد البناء معنىٰ المتانة والتماسك.
- جاء الامتنان بجعل السماء بناء في المكي (سورة غافر) والمدني ( سورة البقرة)، مما يؤكد عظم هذه النعمة، و كونها من أقرب الأدلة علىٰ ربوبية الله تعالىٰ، وألوهيته، واستحقاقه للعبادة الخالصة.
- الدلالة الصوتية في لفظ (البناء) تشير إلىٰ العلو والارتفاع، وأثر المد فيه واضح وجلي.

وورد البنيان سبع مرات،علىٰ النحو الآتي:

الموضع الأول:في قوله تعالىٰ: ( أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ ) (التوبة/ ١٠٩).

والمعنىٰ: أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيانَهُ أي مبنيَّه فهو مصدر كالغفران واستعمل بمعنىٰ المفعول، وعن أبي علي أن البنيان جمع واحده بنيانة، ولعل مراده أنه اسم جنس جمعي واحده ما ذكر، وإلا فليس بشيء[2]، وسياق الآية في معرض الحديث عن الثناء علىٰ إخلاص العمل وصلاحه، وفضل بناء المسجد النبوي ومسجد قباء.

---

(١) المرجع السابق١٢/ ٣٣٥.

(٢) روح المعاني ٦/ ٢١.

والثاني: في قوله تعالىٰ:( خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ) (التوبة/ ١٠٩).

وَالْبُنْيَانُ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ بِوَزْنِ الْغُفْرَانِ وَالْكُفْرَانِ،اسْمٌ لِإِقَامَةِ الْبَيْتِ وَوَضْعِهِ سَوَاءً كَانَ الْبَيْتُ مِنْ أَثْوَابٍ أَمْ مِنْ أَدَمٍ أَمْ كَانَ مِنْ حَجَرٍ وَطِينٍ فَكُلُّ ذَلِكَ بِنَاءٌ. وَيُطْلَقُ الْبُنْيَانُ عَلَىٰ الْمَبْنِيِّ مِنَ الْحَجَرِ وَالطِّينِ خَاصَّةً. وَهُوَ هَنَا مُطْلَقٌ عَلَىٰ الْمَفْعُولِ،أَي الْمَبْنِيّ[1].

والحديث عن ذم المنافقين الذين بنوا مسجد الضرار،وبيان فساد طويتهم،وسوء نيتهم.

والثالث :في قوله تعالىٰ:( لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ ) (التوبة/ ١١٠). وَجَعْلُ الْبُنْيَانِ رِيبَةً مُبَالَغَةٌ كَالْوَصْفِ بِالْمَصْدَرِ، وَالْمَعْنَىٰ أَنَّهُ سَبَبٌ لِلرِّيبَةِ فِي قُلُوبِهِمْ. وَالرِّيبَةُ: الشَّكُّ،فَإِنَّ النِّفَاقَ شَكٌّ فِي الدِّينِ،لِأَنَّ أَصْحَابَهُ يَتَرَدَّدُونَ بَيْنَ مُوَالَاةِ الْمُسْلِمِينَ وَالْإِخْلَاصِ لِلْكَافِرِينَ[2].

والرابع: في قوله تعالىٰ:( قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَـٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ )(النحل/ ٢٦).

قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: فَأَتَىٰ اللهُ بُنْيانَهُمْ مِنَ الْقَواعِدِ تَمْثِيلٌ لِحَالَاتِ اسْتِئْصَالِ الْأُمَمِ، فَالْبُنْيَانُ مَصْدَرٌ بِمَعْنَىٰ الْمَفْعُولِ. أَيِ الْمَبْنِيِّ، وَهُوَ هُنَا مُسْتَعَارٌ لِلْقُوَّةِ وَالْعِزَّةِ وَالْمَنَعَةِ وَعُلُوِّ الْقَدْرِ.

وَإِطْلَاقُ الْبِنَاءِ عَلَىٰ مِثْلِ هَذَا وَارِدٌ فِي فَصِيحِ الْكَلَامِ. قَالَ عَبْدَةُ بْنُ الطَّبِيبِ:

---

(١) التحرير والتنوير١١/ ٣٤.

(٢) المرجع السابق١١/ ٣٥.

فَمَا كَانَ قَيْسٌ هُلْكُهُ هُلْكُ وَاحِدٍ ... وَلَكِنَّهُ بُنْيَانُ قَوْمٍ تَهَدَّمَا[١]

والخامس: في قوله تعالىٰ:( فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَـٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ )(الكهف/ ٢١). وَإِنَّمَا ارْتَأَوْا أَنْ يَبْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا لِأَنَّهُمْ خَشَوْا عَلَيْهِمْ مِنْ تَرَدُّدِ الزَّائِرِينَ غَيْرِ الْمُتَأَدِّبِينَ،فَلَعَلَّهُمْ أَنْ يُؤْذُوا أَجْسَادَهُمْ وَثِيَابَهُمْ بِاللَّمْسِ وَالتَّقْلِيبِ،فَأَرَادُوا أَنْ يَبْنُوا عَلَيْهِمْ بِنَاءً يُمْكِنُ غَلْقُ بَابِهِ وَحِرَاسَتُهُ[٢]

والسادس :في قوله تعالىٰ:( قَالُواْ ٱبْنُواْ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ )(الصافات/ ٩٧).

أي: ابْنُوا لَهُ بُنْيانـًا،أَيْ فِي مَوْضِعِ إِيقَادِ النار. وقيل: هوالْمَنْجَنِيقُ الَّذِي رُمِيَ عَنْهُ[٣].

والسابع : في قوله تعالىٰ:( إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَـٰنٌ مَّرْصُوصٌ )(الصف/ ٤).

الْمَرْصُوصُ، قَالَ الْفَرَّاءُ وَالْقَاضِي مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدٍ: هُوَ الْمَعْقُودُ بِالرَّصَاصِ. وَقَالَ الْمُبَرِّدُ: رَصَصْتُ الْبِنَاءَ: لَاءَمْتُ بَيْنَ أَجْزَائِهِ وَقَارَبْتُهُ حَتَّىٰ يَصِيرَ كَقِطْعَةٍ وَاحِدَةٍ،وَانْتَصَبَ صَفًّا عَلَىٰ الْحَالِ،أي صافين أَنْفُسَهُمْ أَوْ مَصْفُوفِينَ،كَأَنَّهُمْ في ء فِي تَرَاصِّهِمْ مِنْ غَيْرِ فُرْجَةٍ وَلَا خَلَلٍ،بُنْيَانٌ رُصَّ بَعْضُهُ إِلَىٰ بَعْضٍ. وَالظَّاهِرُ تَشْبِيهُ الذَّوَاتِ فِي الْتِحَامِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ بِالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ اسْتِوَاءُ نِيَّاتِهِمْ فِي الثَّبَاتِ حَتَّىٰ يَكُونُوا فِي اجْتِمَاعِ الْكَلِمَةِ كَالْبُنْيَانِ الْمَرْصُوصِ[٤].

أثر السياق القرآني في هذه الآيات:

(١) التحرير والتنوير١٤/ ١٣٤.
(٢) المرجع السابق١٥/ ٢٨٩.
(٣) البحر المحيط٩ / ١١٣.
(٤) المرجع السابق١٠/ ١٦٤/ ١٦٥.

- نلحظ أن لفظ (البنيان)يعنىٰ به المبنىٰ(المنشأ علىٰ الأرض) سواء أكان حقيقة أم مجازا.
- وقع لفظ (البنيان) مصدرا بمعنىٰ اسم المفعول (مبنيّ).
- نسب البنيان في جميع المواضع إلىٰ الخلق،فهو من صنعهم.
- ورد لفظ البنيان أربع مرات في المدني منها ثلاث في آيتين متتاليتين من سورة التوبة، والرابعة في سورة الصف،كما ورد ثلاث مرات في المكي .
- ورد لفظ (البنيان) في سياق المدح والذم،و الترغيب والترهيب.
- زيادة الحروف في لفظ (البنيان) تدل علىٰ زيادة المعنىٰ.

**ثوابا – مثوبة :**

ومَثابُ الْبِئْرِ: وَسَطها. ومَثابُها: مقامُ السَّاقي مِنْ عُرُوشها عَلَىٰ فَم الْبِئْرِ، ومَثابَتُها: مَبْلَغُ جُمُوم مائِها. ومَثابَتُها: مَا أَشْرَفَ مِنَ الْحِجَارَةِ حَوْلَها يَقُوم عَلَيْهَا الرَّجل أَحيانًا كَيْ لَا تُجاحِفَ الدَّلْوَ الغَرْبَ، ومَثابةُ البِئْرِ أَيضًا: طَيُّها، عَنِ ابْنِ الأَعرابي. وثابَ الماءُ: بَلَغ إِلَىٰ حَالِهِ الأَوّل بعد ما يُسْتَقَىٰ.

التَّهْذِيب: وبِئْرٌ ذاتُ ثَيِّبٍ وغَيِّثٍ إِذَا اسْتُقِيَ مِنْهَا عادَ مكانَه ماءٌ آخَر، وثَيّبٌ كَانَ فِي الأَصل ثَيْوِبٌ. قَالَ: وَلَا يكون الثُّؤُوبُ أَوَّلَ الشيءِ حَتَّىٰ يَعُودَ مَرَّةً بَعْدَ أُخرىٰ. وَيُقَالُ: بِئْر لَهَا ثَيْبٌ أَي يَثُوبُ الماءُ فِيهَا. والمَثابُ: صَخْرة يَقُوم السَّاقي عَلَيْهَا يَثُوبُ إِلَيْهَا الْمَاءُ[1].

والمعنىٰ المحوري لتركيب(ث و ب) يدور حول رجوع الشيء المتفرق الذاهب وتجمعه في نفس مكانه ثانية–كمثاب البئر، يتجمع فيه الماء بعد ذهابه، والثوب: خيوط تتجمع[2].

(١) لسان العرب(ثوب) ١/ ٢٤٣.

(٢) المعجم الاشتقاقي (ثوب)١/ ٢٢٨.

والثواب من هذا المعنىٰ؛ لأنه مردود الطاعة وجزاؤها، فهو يعود إلىٰ العامل بعد ذهاب العمل، سواء أكان العمل صالحا أم غير صالح، ولكنه غلب علىٰ العمل الصالح.

وورد الثواب مصدرا في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة، في المواضع الآتية:

١. في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ (آل عمران/ ١٤٥).

٢. في قوله تعالىٰ:﴿فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾(آل عمران/ ١٤٨).

٣. في قوله تعالىٰ:﴿ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ﴾(آل عمران/ ١٩٥).

٤. في قوله تعالىٰ:﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ ثَوَابُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾(النساء/ ١٣٤).

٥. في قوله تعالىٰ:﴿نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾(الكهف/ ٣١).في قوله تعالىٰ:﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾(القصص/ ٨٠).

٦. في قوله تعالىٰ:﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾(الكهف/ ٤٤)

٧. في قوله تعالىٰ:﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (الكهف/ ٤٦).

٨. في قوله تعالىٰ:﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا﴾(مريم/ ٧٦).

أثر السياق في هذه الآيات الكريمة:

- الثواب: ما يرجع إلىٰ الإنسان من جزاء أعماله، فيسمىٰ الجزاء ثوابا تصورا أنه هو هو، ألا ترىٰ كيف جعل الله تعالىٰ الجزاء نفس العمل في قوله: }فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره{ [الزلزلة/ ٧]،ولم يقل جزاءه، والثواب يقال في الخير والشر، لكن الأكثر المتعارف في الخير، وعلىٰ هذا قوله عز وجل:(ثوابا

من عند الله والله عنده حسن الثواب) [آل عمران/ ١٩٥]،}، (فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة) [آل عمران/ ١٤٨]،.

- وقع الثواب في سياق الحديث عن الجزاء في الدنيا، كما وقع في سياق الحديث عن الجزاء في الآخرة.
- ورد الثواب في المكي والمدني، وهذا يشير إلىٰ صلاحية مبدأ الثواب والعقاب، والترغيب والترهيب، في الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ في مراحلها المختلفة، مع مراعاة التنوع في مقاماتها، وزيادة التركيز علىٰ أحدهما دون الآخر حينا حسب أحوال الناس.

وورد لفظ(مثوبة) في موضعين:

الأول- في قوله تعالىٰ:( وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ )(البقرة/ ١٠٣).

والمعنىٰ:" لو أن الذين يتعلمون من الملكين ما يفرقون به بين المرء وزوجه،"آمنوا" فصدقوا الله ورسوله وما جاءهم به من عند ربهم، و"اتقوا" ربهم فخافوه وخافوا عقابه، فأطاعوه بأداء فرائضه وتجنبوا معاصيه - لكان جزاء الله إياهم، وثوابه لهم علىٰ إيمانهم به وتقواهم إياه، خيرا لهم من السحر وما اكتسبوا به"[1].

الثاني- في قوله تعالىٰ:( قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ )(المائدة/ ٦٠).

وَالْمَثُوبَةُ مُشْتَقَّةٌ مِنْ ثَابَ يَثُوبُ، أَيْ رَجَعَ...،سُمِّيَ بِهَا الشَّيْءُ الَّذِي يَثُوبُ بِهِ الْمَرْءُ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ إِذَا نَالَهُ جَزَاءً عَنْ عَمَلٍ عَمِلَهُ أَوْ سَعْيٍ سَعَاهُ، وَأَصْلُهَا مَثُوبٌ بِهَا،

(١) تفسير الطبري٢/ ٤٧٥.

اعْتَبَرُوا فِيهَا التَّأْنِيثَ عَلَىٰ تَأْوِيلِهَا بِالْعَطِيَّةِ أَوِ الْجَائِزَةِ ثُمَّ حُذِفَ الْمُتَعَلِّقُ لِكَثْرَةِ الِاسْتِعْمَالِ.

وَأَصْلُهَا مُؤْذِنٌ بِأَنَّهَا لَا تُطْلَقُ إِلَّا عَلَىٰ شَيْءٍ وُجُودِيٍّ يُعْطَاهُ الْعَامِلُ وَيَحْمِلُهُ[١].

وهو مصدر ميمي، واختلف في وزنها، فقيل:(مَفْعُولة)، وقيل(مَفْعُلة)، وقيل(مَفْعَلة)[٢].

أثر السياق في هذه الآية الكريمة:

- الثَّوَابُ و المَثُوبَةُ جزاء الطاعة، وقد يراد بهما مطلق الجزاء كذا نقله الأزهري وغيره ويعضده قوله تعالىٰ: (هل ثوب الكفار ) أي جوزوا لأن ثوبه بمعنىٰ أثابه وقوله تعالىٰ: ( بشر من ذلك مثوبة )[٣].
- وقع لفظ (المثوبة) في سياق دعوة الكافرين(الذين يتعلمون السحر ويفرقون به بين المرء وزوجه)،وأهل الكتاب- إلىٰ الإيمان بالله تعالىٰ.
- ورد لفظ (المثوبة) في الخير والشر،في قوله تعالىٰ: (هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله) [المائدة/ ٦٠]،فإن ذلك استعارة في الشر كاستعارة البشارة فيه، و قال تعالىٰ: (ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله) [البقرة/ ١٠٣]، والإثابة تستعمل في المحبوب، قال تعالىٰ:(فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار) [المائدة/ ٨٥]،وقد قيل ذلك في المكروه (فأثابكم غما بغم) [آل عمران/ ١٥٣]، علىٰ الاستعارة.
- المبالغة في معنىٰ المثوبة؛ إذ الزيادة في المبنىٰ تدل علىٰ الزيادة في المعنىٰ.

---

(١) التحرير والتنوير٦/ ٢٤٥.

(٢) ينظر:حاشية الشهاب علىٰ تفسير البيضاوي٢/ ٣٥٣.

(٣) ينظر: مختار الصحاح (ثوب)١/ ٥١.

- تقييد (المثوبة) بالوصف (من عند الله) و( عند الله) يشير إلىٰ عظمتها، وكونها لا تخطر علىٰ قلب بشر، سواء أكان ذلك خيرا أم شرا.
- أطلق لفظ (مثوبة) اسما علىٰ الشَّيْءِ الَّذِي يَثُوبُ بِهِ الْمَرْءُ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ إِذَا نَالَهُ جَزَاءً عَنْ عَمَلٍ عَمِلَهُ أَوْ سَعْيٍ سَعَاهُ.

**الحياة – الحيوان :**

الحياة فَعَلة، والحيوان فَعَلَان، ولما كان السياق في سورة العنكبوت عن الدار الآخرة جيء بصيغة (فَعَلان) الدالة علىٰ الحركة المستمرة، والاضطراب، كالغليان والسريان ونحوهما.

يقال: حيِيَ حَيِيتُ ،يَحيَا ،احْيَ ،حياةً وحيوانًا، فهو حيّ، وحيِي فلانٌ: عاش وصار ذا حياة، كان ذا نماء، سرت فيه الرُّوح، عكسه مات[1].

والمعنىٰ المحوري لتركيب (حيي) يدور حول امتلاء بالطراءة التي لها حدة أو فاعلية، تتمثل في رهافة الحس، وفي النمو حركة وامتدادا: كجرم الحية ممتدا يتحرك (والامتداد يصور النمو)، وتتجلىٰ طراءته في مرونته وتلويه دون أن ينقطع، كأنه مليء بمائع، والتلوي دون انكسار يعطي التماسك أيضا، والنبات الطري ينمو، واهتزازه دون أن ينكسر يبدي تماسكه...وقد ارتبط تركيب (حيي) في القرآن الكريم بالماء في أكثر من عشرة مواضع مثل:( وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ)(الأنبياء/ ٣٠)[2].

ووردت الحياة اسما ومصدرا ستا وسبعين مرة في القرآن الكريم، كقوله تعالىٰ:( يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي)(الفجر/ ٢٤).

وورد المصدر (الحيوان) مرة واحدة في قوله تعالىٰ:( وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ )(العنكبوت/ ٦٤).

(١) ينظر:المعجم الرائد (حيي).

(٢) ينظر:المعجم الاشتقاقي المؤصل (حيي)١/ ٣٥٧.

وبالنظر في مواضع ذكر الحياة في القرآن الكريم يمكننا استنتاج أثر السياق فيما يأتي:

أولا- حيثما ذكرت (الحياة) فهي الحياة الدنيا، والحياة الدنيا تكون طيبة بالرزق الحلال والقناعة، كما قال تعالىٰ:( مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً )(النحل/ ٩٧)، وذلك أن من قنعه الله بما قسم له من رزق لم يكثر للدنيا تعبه، ولم يعظم فيها نَصَبه، ولم يتكدّر فيها عيشه [(١)].

ثانيا- وقع لفظ (الحياة) متبوعا (أي موصوفا) ب(الدنيا)، ولم يرد لفظ (الآخرة) تابعا للفظ الحياة مطلقا، بمعنىٰ أنه لم تقع (الحياة الآخرة)، وإنما يكتفي القرآن بلفظ (الآخرة)، أو الدار الآخرة؛ فكأن كلمة الحياة تعنىٰ التي نحياها هنا في الدنيا؛ لأن الحياة الدنيا تقع بين موتتين، والآخرة لا يعقبها موت، و ما الحياة الدنيا إلا صورة ومتاع، ولكن الآخرة هي الحقيقة و الخلود.

ثالثا- لفظ (الحياة) يوحي بامتداد له نهاية، وصوت الهاء ضعيف يخرج مع النفس، ووقوع الهاء في خاتمة اللفظة تشير إلىٰ إفراغ ما في الموصوف بها من قوة ونفس.

رابعا- وقع لفظ (الحيوان) خبرا عن الدار الآخرة، في جملة مؤكدة بخمسة مؤكدات، هي[ إن، واسمية الجملة، وتعريف طرفيها، واللام، وضمير الفصل"هي"].

خامسا- ورد (الحيوان) في سورة مكية، تأسيسا للعقيدة الصحيحة، وردًّا علىٰ من أنكر الحياة بعد الموت، وتسلية لكل مؤمن مبتلىٰ في هذه الحياة الدنيا؛ إذ إن محور السورة الرئيس يدور حول الإيمان وسنّة الابتلاء في هذه الحياة لأن المسلمين في مكة كانوا في أشد أنواع المحنة والابتلاء.

---

(١) ينظر: تفسير الطبري١٧/ ٢٧٢.

سادسا- اختصت الآخرة بوصف (الحيوان)، وقد ورد مرة واحدة، ومعناها الحياة الباقية الدائمة التي لا موت فيها، و الحياة الحق التي لا زوال لها ولا انقضاء، بل هيٰ مستمرة أبدا.

سابعا - الحيوان أبلغ من الحياة لما فيه من زيادة المبنىٰ، ولأن بناء فعلان من الحركة والاضطراب اللازم للحياة، كما أن امتداد الصوت فيه( الكائن في الألف الواقع بعد الواو، وغنة النون اللطيفة) يشير إلىٰ امتداد الحياة في الدار الآخرة، وعدم انقطاعها ولو بالنوم.

**الرُحْم – الرحمة – المرحمة:**

الرحمة: الرقة والتعطف، والمرحمة مثله، رحمه رُحْما ورُحُما ورَحْمة و رُحْمة، حكىٰ الأخيرة سيبويه ومَرْحَمة، والرُّحم ،بالضم: الرحمة، وما أقرب رُحم فلان إذا كان ذا مرحمة وبر أي: ما أرحمه وأبره.[1]

وورد لفظ (الرُّحم) بضم الراء وسكون الحاء- مصدرا مرة واحدة، وذلك في قوله تعالىٰ: (خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا)(الكهف/ ٨١).

أي: وأقرب رحمة بوالديه وأبرّ بهما من المقتول[2]، وهما مصدران كالكُثْر والكَثْرة، والمراد أقرب رحمة عليهما وبرا بهما، واستظهر ذلك أبو حيان، ولعل وجهه كثرة استعمال المصدر مبنيا للفاعل مع ما في ذلك هنا من موافقة المصدر قبله[3].

ووردت الرحمة مصدرًا أربع عشرة ومائة مرة، بعدد سور القرآن الكريم، إشارة إلىٰ ما يحمله هذا القرآن العظيم لمن آمن به من مصادر الرحمة في الدنيا

(١) ينظر: لسان العرب(رحم)١٢/ ٢٣٠ باختصار.

(٢) ينظر:تفسير الطبري١٨/ ٨٧.

(٣) ينظر: روح المعاني٨/ ٣٣٤.

والآخرة، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾(البقرة/ ١٥٧).

والعجيب أن عدد ذكر الرحمة مصدرًا يوافق عدد ذكر اسم الله (الرحيم) في القرآن،وهو (١١٤) مرة،وجاء (الرحيم) صفة للنبي -ﷺ- مرة واحدة، وليس داخلا في العدد[١]، وذلك في قوله تعالىٰ:﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾(التوبة/ ١٢٨).

وورد لفظ (المرحمة) مصدرا مرة واحدة، وذلك في قوله تعالىٰ:﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ﴾(البلد/ ١٧).

أي بالرحمة علىٰ عباده عز وجل ومن ذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو تواصوا بأسباب رحمة الله تعالىٰ وما يؤدي إليها من الخيرات علىٰ أن المرحمة مجاز عن سببها أو الكلام علىٰ تقدير مضاف[٢].

وَالْمَرْحَمَةُ مِلَاكُ صَلَاحِ الْأُمة الْإِسْلَامِيَّة، قَالَ تَعَالَىٰ: رُحَماءُ بَيْنَهُمْ [الْفَتْح: ٢٩] .

وَالتَّوَاصِي بِالرَّحْمَةِ فَضِيلَةٌ عَظِيمَةٌ، وَهُوَ أَيْضًا كِنَايَةٌ عَنِ اتِّصَافِهِمْ بِالْمَرْحَمَةِ لِأَنَّ مَنْ يُوصِي بِالْمَرْحَمَةِ هُوَ الَّذِي عَرَفَ قَدْرَهَا وَفَضْلَهَا، فَهُوَ يَفْعَلُهَا قَبْلَ أَنْ يُوصِيَ بِهَا، كَمَا تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: وَلا تَحَاضُّونَ عَلىٰ طَعامِ الْمِسْكِينِ [الْفجْر: ١٨] [٣].

أثر السياق القرآني في هذه الآيات الكريمة:

---

(١) اعتمد كثير من الباحثين علىٰ ما جاء في المعجم المفهرس من عدد ذكر اسم الله الرحيم، وهو(١١٥)، ولم يراعوا أنه ذكر مرة صفة للنبيﷺ، أو لم ينتبهوا إلىٰ ذلك، والله الموفق والهادي إلىٰ سواء السبيل!

(٢) ينظر: روح المعاني١٥/ ٣٥٦، بتصرف.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير٣٠/ ٣٦١.

▪ الرحمة أعم الألفاظ الثلاثة، حيث إنها وقعت في سياقات الحديث عن الذات العلية، وعن الدنيا والآخرة، وما فيهما من الرحمة،كما اتصف بها بعض خلقه، والرُّحم أخصها؛ لأنها تدل علىٰ تميز ما يتعلق بالقلب، فيؤثر فيه ويتأثر به، والمرحمة مصدر ميمي، يعنىٰ به الرحمة المتبادلة والأخذ بأسبابها، والتواصي بها.

▪ ذكر لفظ "الرحمة" مصدرا ١١٤مرة، وهو يساوي عدد سور القرآن الكريم، كما يتفق مع اسم الله الرحيم في العدد[1]، وهذه إشارة لطيفة إلىٰ أن كل رحمة موجودة فهي من اسم الله الرحيم؛ لأنها صفة فعل، كما أن هذا القرآن هدىٰ ورحمة للمؤمنين.

▪ وقع لفظا (رُحما و المرحمة) في سورتين مكيتين، هما سورتا الكهف والبلد، كما وقع لفظ الرحمة في السور المكية و المدنية معا، وهذا يؤكد عموم معنىٰ الرحمة، ومجيئها في سياقات عديدة، كما يشير إلىٰ خصوصية المعنىٰ في اللفظين (رحما والمرحمة) كما سبق.

**الصيام – الصوم :**

فِعَال وفَعْل، هذان هما وزنا المصدرين(الصيام والصوم)، فهل هناك اختلاف في دلالتهما؟.

ورد الصيام مصدرا ثماني مرات علىٰ النحو الآتي:

١- في قوله تعالىٰ:(كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ )(البقرة/ ١٨٣).

٢- في قوله تعالىٰ:( أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ)(البقرة/ ١٨٧).

٣- في قوله تعالىٰ:( فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ )(البقرة/ ١٩٦).

٤- في قوله تعالىٰ:( فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ)(البقرة/ ١٩٦).

(١) ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (رحمة) ٣٠٥.

٥- في قوله تعالىٰ:( فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ ٱللَّهِ )(النساء/ ٩٢).

٦- في قوله تعالىٰ:( فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ )(المائدة/ ٨٩).

٧- في قوله تعالىٰ:( أَوْ عَدْلُ ذَٰلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ)(المائدة/ ٩٥).

٨- في قوله تعالىٰ:( فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا)(المجادلة/ ٤).

وورد (الصوم) مصدرا في موضع واحد، في قوله تعالىٰ:( فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا )(مريم/ ٢٦).

ذكر أبو هلال العسكري الفرق بين الصيام والصوم بقوله: قد يفرَّق بينهما بأنَّ الصيام هو الكفُّ عن المفطرات مع النيَّة، ويرشد إليه قوله تعالىٰ:﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾[البقرة: ١٨٣].

والصوم:هو الكفُّ عن المفطراتِ والكلامِ كما كان في الشرائع السابقة، وإليه يشير قوله تعالىٰ مخاطبًا مريم عليها السلام: ﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِىٓ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴾ [مريم: ٢٦]؛ حيث رتَّب عدم التكلُّم علىٰ نذر الصوم[١].

كما أن للصيغة أثرًا في الدلالة، فقد ذكر بعضهم أن أحد مصدرَي "صام" علىٰ صيغة الفعال والمفاعلة، وهو: "صيام" دون "صوم"؛ ليدلَّ علىٰ معاني المفاعلة؛ فلفظ الصيام قد احتوىٰ المعاني العامَّة السابقة بل وأكثر؛ ليستمدَّ

(١) ينظر:معجم الفروق اللغوية (ص٣٢٥).

مضمونه من روافد التشريع الإسلامي لفريضة الصِّيام، ولا توجد معاني المفاعلَة في مصدر الصوم، وهو المصدر الآخر للفعل صام[1].

وأضيف إلىٰ ما ذكر أن لصيغة "فِعال" هنا معنىٰ الاشتمال و هذا الوزن كثير في المشتملات علىٰ الأشياء كاللِّحاف والخِمار والرِداء والغِطاء والكِتاب، ووجهه في لفظ"الصيام" ذو ثلاث شعب:

أولا- اشتمال صاحبه به كاشتمال صاحب اللباس الساتر به،ويُستأنس في هذا الوجه بقوله ﷺ:" الصيام جُنّة من النار،كجنّة أحدكم من القتال)[2]،وما ورد في تسلسل الشياطين في شهر الصيام يقوي هذا المعنىٰ،كما يقويه ما ورد من أن الصيام يضيق علىٰ الشيطان مجاريه،فكأن الصيام أداة وقائية قتالية من أدوات القتال.

ثانيا- اشتماله من حيث المعنىٰ علىٰ دلالة الصوم اللغوية وزيادة.

ثالثا- اشتماله من حيث المغزىٰ علىٰ التقوىٰ، كما قال تعالىٰ:( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَىٰ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)(البقرة/ ١٨٣)، فالصيام الحقيقي ينتج التقوىٰ، والتقوىٰ وقاية لصاحبها في الدنيا والآخرة، كما أخبر النبي ﷺ بقوله:( الصِّيَامُ جُنَّةٌ)[3].

**أثر السياق في هذه الآيات الكريمة:**

أولا- نلحظ مجيء (الصيام) دالا علىٰ الصيام المعروف في شريعة الإسلام.

ثانيا- كما أن(الصوم) جاء دالا علىٰ الإمساك عن الكلام في شرع من كان قبلنا.

---

(١) ينظر: "التصوير القرآني للقيم الخلقية والتشريعية"،للأستاذ علي صبح، (ص ١٦٠،١٥٩).

(٢) رواه ابن ماجه برقم ١٦٣٩ .

(٣) رواه البخاري ١٨٩٤ ومسلم ١١٥١.

ثالثا- الزيادة في المبنىٰ تدل علىٰ الزيادة في المعنىٰ، فلفظ "صيام"أربعة أحرف، و"صوم"ثلاثة أحرف، وهذه إشارة إلىٰ أن الصيام في شرعنا أكمل الصيام .

رابعا- صيغة "فعال" في الصيام تدل علىٰ المشاركة، والاشتمال.

خامسا- دلالة المد في لفظ (الصيام) تشير إلىٰ الزمن المحدد للصيام،كما أن الصاد وإن كانت تدل علىٰ نوع مشقة(لأنها من حروف الاستعلاء الذي يلزم عنه التفخيم) إلا أنها ميسرة؛ إذ إن كسرتها كسرت حدتها، واستعلاءها.

سادسا- دلالة الصوت في لفظ (الصوم) تشير إلىٰ معناه، حيث إن انضمام الشفتين بالواو يعد تمهيدا لانغلاق الفم بصوت الميم تعبيرا عن الصمت وعدم الكلام، وليس لهذا وقت محدد، كما أن الصاد المفتوحة أشد تفخيما من المكسورة، وهذه إشارة إلىٰ ثقل هذا الأمر؛ لأن التزام الصمت فترة أمر شاق علىٰ النفس، ولذلك نهىٰ عنه في شرعنا كما ورد في الصحيح[1].

سابعا-وقع لفظ (الصيام) في السور المدنية وحدها (البقرة – النساء – المائدة – المجادلة)، ووقع لفظ (الصوم) في سورة مريم وهي مكية؛ وذلك متناسب مع أسبقية "الصوم" علىٰ "الصيام" في تاريخ التشريع السماوي؛ حيث إنه ورد في قصة نبي الله زكريا-عليه السلام، ومريم أم

(١) كما روىٰ البخاري (٦٧٠٤) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ ،فَسَأَلَ عَنْهُ ،فَقَالُوا: أَبُو إِسْرَائِيلَ ،نَذَرَ أَنْ يَقُومَ وَلَا يَقْعُدَ ،وَلَا يَسْتَظِلَّ، وَلَا يَتَكَلَّمَ ،وَيَصُومَ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (مُرْهُ فَلْيَتَكَلَّمْ، وَلْيَسْتَظِلَّ، وَلْيَقْعُدْ، وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ) .

عيسىٰ –عليهما السلام، كما أن ذكر "الصيام" في المدني وحده متفق مع فرضيته في شعبان في السنة الثانية من الهجرة.

ثامنا- ورد الصيام مرادا به الفريضة في شهر رمضان مرة واحدة في الآية(١٨٣) من سورة البقرة، وورد في سياق تحليل الرفث إلىٰ الأزواج ليلة الصيام تيسيرا، ورفعا للحرج في الآية (١٨٧) من سورة البقرة، وفي المواضع الأخرىٰ وقع في سياق الكفارات أو الفدية، كما في الوقوع في أحد محظورات الإحرام التي لها كفارة، و من لم يجد الهدي في الحج، وقتل النعم في الحرم، وقتل المؤمن خطأ، واليمين المنعقدة ، وكفارة الظهار، وأما الصوم فلم يرد في واحدة مما سبق.

تاسعا- ما جاء في الأحاديث النبوية من ذكر "الصوم"مرادا به "الصيام" لا غضاضة فيه؛ إذ هما من مادة واحدة، وكلاهما إمساك وامتناع، وإن كان الصيام أعم، وحديثنا هنا عما ورد في القرآن الكريم، وأما أمر الأحاديث الصحيحة في الصيام والصوم، وما شاكلها من مصادر، فدراسة الفروق اللغوية وأثر السياق فيها يحتاج إلىٰ همة الباحثين.

**الطغوى – الطغيان :**

الطغيان والطغوان لغة فيه، وهما مصدران كما قال الفراء، والطغوىٰ بالفتح مثله، والفعل طغوت وطغيت، وكل مجاوز حده في العصيان طاغ . ابن سيده: طغوت أطغو، وأطغىٰ طغوا، كطغيت وطغوىٰ، واشتقاقه من الطَغْية وهو المستصعِب العالي من الجبل،وكل مكان مرتفع طَغْوة.

والمعنىٰ المحوري: ارتفاع الشيء باستغلاظ وتجاوز حتىٰ يغشىٰ ويغطي ما حوله، كأعلىٰ الجبل المستصعب ونحوه، وكل ما في القرآن من التركيب فهو بمعنىٰ التجاوز في غلظ وتخط للحق وعدوان[1].

ورد لفظ (الطغوىٰ) مرة واحدة، في قوله تعالىٰ:( كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ)(الشمس/ ١١).

وورد لفظ (الطغيان) مصدرا تسع مرات، علىٰ النحو الآتي:

١-قوله تعالىٰ:( ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ )(البقرة/ ١٥).

٢،٣- قوله تعالىٰ:( وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا )(المائدة/ ٦٤،).

٤-قوله تعالىٰ:( وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ )(الأنعام/ ١١٠).

٥-قوله تعالىٰ:( مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ ۚ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ )(الأعراف/ ١٨٦).

٦-قوله تعالىٰ:( وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ )(يونس/ ١١).

٧-قوله تعالىٰ:( وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ ۚ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا )(الإسراء/ ٦٠).

٨-قوله تعالىٰ:( فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا)(الكهف/ ٨٠).٩٨- ٩- قوله تعالىٰ:( وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ )(المؤمنون/ ٧٥).

(١) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل (طغىٰ)،٣/ ١٣٣٢.

**أثر السياق في هذه الآيات الكريمة:**

أولا- الطُّغْيَانُ مَصْدَرٌ بِوَزْنِ الْغُفْرَانِ وَالشُّكْرَانِ،وَهُوَ مُبَالَغَةٌ فِي الطَّغْيِ وَهُوَ الْإِفْرَاطُ فِي الشَّرِّ وَالْكِبْرِ،والطَغْوَىٰ بلوغ الحد في الطغي المؤذن بالعقوبة،كما قال تعالىٰ:( وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَىٰ)(طه/ ٨١).

ثانيا- نلحظ انسجام الفاصلة القرآنية بهذا المصدر (بطغواها) في سورة الشمس، فلا يصلح لفظ (الطغيان) هنا، لعدم انسجامه وتناسقه مع فواصل الآيات، والتناسق الصوتي أمر مهم، والغرض منه إبراز الجمال الصوتي وتناسقه، ولفت الانتباه إلىٰ تناسق المعنىٰ وتناسبه، والتوصل من خلاله إلىٰ التناسب المعنوي .

ثالثا- كما نلحظ اتساق المعنىٰ الدقيق الكائن في لفظ (طغوىٰ)، وهو بلوغ الحد في الطغيان، كأنهم بنوا طغيانا فوق طغيان، حتىٰ ارتفعوا جدا،- لما ورد في السورة من أقسام في مطلع السورة، حيث إن الآيات الكونية التي أقسم الله بها في مطلع السورة كلها متناسقة ومتساوية، وليس فيها أدنىٰ خلل، فالتناسق والتساوي سارٍ في معانيها ومبانيها، وكذلك في النفس البشرية، فهي مركبة من طبيعة مزدوجة، من طين وروح، يكمن فيها استعدادات متساوية للخير والشر، والهدىٰ والضلال، كما قال تعالىٰ:(وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا. فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا. قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا. وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا).

رابعا- كما نلحظ عدم ذكر كلمة (طغواها) إلا في هذا الموضع،-مع تكرار قصة ثمود ونبي الله صالح-عليه السلام- في القرآن الكريم، والطغوىٰ سبب تكذيبها نبيَّها، فهي وحدها سبب التكذيب، وتمثل هذا الطغيان المتجاوز للحد في انبعاث أشقاها، وهو الذي عقر الناقة، عندئذ تحركت يد القدرة؛ لتبطش بهم

(فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا)، وذكر الدمدمة[1] (وهو فعل لم يقع في القرآن الكريم إلا في هذا الموطن) مناسب للطغوىٰ المذكورة، فالجزاء من جنس العمل.

خامسا- أكثر ما يميز كلمة (طغواها) صوت الواو، وهو يدل علىٰ الاشتمال والاحتواء، وهو هنا بمعنىٰ

تراكم الطغيان بعضه فوق بعض، وانضمامه جنبا إلىٰ جنب، بارتفاع إلىٰ أقصىٰ حد، وأما صوتا الطاء والغين فهما موجودان في (الطغيان)، فاستعلاء الطاء في صدر الكلمة يتفق مع دلالتها علىٰ العلو والكبر، وصوت الغين يشبه الغَيْن (لغة في الغَيْم)، فهو تجاوز الحد المؤدي إلىٰ الغشاوة والغشاء الذي يغطي علىٰ العقل والفكر والتروي.

كما أن الياء هو الصوت المميز في الطغيان، وهو يعبر عن اتصال الممتد من دون تفرق أو تسيب، ومعناه أن الطغيان لم يتخلله خضوع أو انكسار أو تذلل أو إيمان، ويستأنس في توثيق هذا المعنىٰ بتكرار قوله:( فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ) مسبوقا بما يدل علىٰ الإمداد أو الزيادة أو الترك والإهمال أو اللج، وقد سبق ذكر الآيات الكريمة .

سادسا- (طغواها)هي المرحلة الأخيرة لطغيانها؛ ولذا أعقبه بالعذاب المدمدم المدمر.

**لقاء-تلقاء :**

ورد للفعل (لقي) عن العرب أربعة عشر مصدرا، كما ذكر أبو حيان[1]، قالوا:لقي (لَقْيًا و لَقْيةً و لَقَاةً ولِقاء ولَقاء و لِقَىً و لَقَىً و لِقىٰ و لِقياء و لَقياء و لِقيا و لِقْيانًا و لِقْيالة و تِلْقاء).

(١) معنىٰ (دمدم) كما قال جل المفسرين: دمدم عليهم : أطبق عليهم الأرض، يقال : دمم عليه القبر، إذا أطبقه ودمدم مكرر دمم للمبالغة مثل كبكب ، وعليه فوزن دمدم : فعفل .

وقد ورد منها في القرآن الكريم مصدران، هما (لقاء) و(تلقاء).

جاء في مختار الصحاح:" (التِّلْقَاءُ) أَيْضًا مَصْدَرٌ مِثْلُ (اللِّقَاءِ)[٢].

والمعنىٰ المحوري للتركيب يدور حول: تحصيل بالمقابلة مواجهةً أو تماسًا، أي بقوة[٣].

وكل شيء استقبل شيئا أو صادفه فقد لقيه، واللقاء: استقبال الشيء قريبا منه.

وورد (لقاء) أربعا وعشرين مرة، منه قوله تعالىٰ:( قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللهِ)(الأنعام/ ٣١)، وقوله: ( لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ) (الأنعام/ ١٥٤)،.

هذا، ويرىٰ الطاهر بن عاشور أن اللقاء استعارة تمثيلية -: شبّهت حالة الخلق عند المصير إلىٰ تنفيذ وعد الله ووعيده بحالة العبيد عند حضور سيِّدهم بعد غيبة ليجزيهم علىٰ ما فعلوا في مدّة المغيب، وشاع هذا التمثيل في القرآن وكلام الرسول صلىٰ الله عليه وسلم كما قال: « من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه »، وفي القرآن { لِيُنْذر يوْمَ التَّلاقِ } [ غافر: ١٥ ][٤].

وإن كنت أميل إلىٰ جعل اللقاء حقيقة لا مجازا، ولقاء الله حق في إطار (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ)(الشورىٰ/ ١١)، والأدلة عليه أكثر من أن تحصىٰ، و قد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة والمشاهدة بعد السلوك والمسير، وقالوا: إن لقاء الله يتضمن رؤيته سبحانه وتعالىٰ واحتجوا بآيات [اللقاء] علىٰ من أنكر رؤية الله في الآخرة من الجهمية، كالمعتزلة وغيرهم.

---

(١) ينظر: البحر المحيط ١/ ١٩٣، تح/ عادل عبد الموجود، وآخرين، ط/ دار الكتب العلمية

(٢) ينظر:مختار الصحاح (لقي) ٢٨٤.

(٣) ينظر:المعجم الاشتقاقي المؤصل ٤/ ١٩٩٠.

(٤) ينظر:التحرير والتنوير٧/ ١٨٩.

وروىٰ عن عبد الله بن المبارك أنه قال في قوله:{فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً}[الكهف:١١٠]: ولايرائي، أوقال: ولا يخبر به أحداً، وجعلوا اللقاء يتضمن معنيين: أحدهما: السير إلىٰ الملك، والثاني: معاينته، كما قال:{يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلَاقِيهِ}[الانشقاق:٦]، فذكر أنه يكدح إلىٰ الله فيلاقيه، والكدح إليه يتضمن السلوك والسير إليه، واللقاء يعقبهما.

وأما المعاينة من غير مسير إليه كمعاينة الشمس والقمر فلا يسمىٰ لقاء، وقد يراد باللقاء الوصول إلىٰ الشيء،والوصول إلىٰ الشيء بحسبه.

وورد (تلقاء) في ثلاثة مواضع،هي:

١-في قوله تعالىٰ:( وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)(الأعراف/ ٤٧).

أي: حِيالَهم ووِجاههم.

والتلقاء: مكان وجود الشّيء ،وهو منقول من المصدر الذي هو بمعنىٰ اللّقاء، لأنّ محلّ الوجود مُلاق للموجود فيه[١].

٢-في قوله تعالىٰ:( قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاءِ نَفْسِي)(يونس/ ١٥)، أي: من عندي.

و { تِلقاء } صيغة مصدر علىٰ وزن التِفعال، وقياس وزن التِفعال الشائع هو فتح التاء وقد شذ عن ذلك تِلقاء، وتِبيان، وتِمثال، بمعنىٰ اللقاء والبيان والمُثول، فجاءت بكسر التاء لا رابع لها، ثم أطلق التلقاء علىٰ جهة التلاقي، ثم أطلق علىٰ الجهة

(١) ينظر:التحرير والتنوير ٨ ب/ ١٤٤.

والمكان مطلقاً كقوله تعالىٰ:{ ولما توجه تلقاء مدين } [القصص: ٢٢ ]. فمعنىٰ { من تلقاء نفسي } من جهة نفسي[١].

٣-في قوله تعالىٰ: ( وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ) (القصص/ ٢٢).

تلقاء: بمعنىٰ اللقاء والمقاربة، وشاع إطلاق هذا المصدر علىٰ جهته، فصار من ظروف المكان التي تنصب علىٰ الظرفية، والتقدير: لما توجه جهة تلاقي مدْيَن، أي جهة تلاقي بلاد مدين[٢].

**أثر السياق القرآني في هذه الآيات الكريمة:**

أولا- مناسبة لفظ اللقاء لحضور العبد بين يدي الله تعالىٰ -في الدنيا والآخرة-وعدم مناسبة لفظ (تلقاء) في ذلك لدلالته علىٰ التحيز والجهة، والله عز وجل منزه عن الحد والتحيز والمشابهة.

ثانيا- ورد لفظ (لقاء) في المواضع كلها مضافا إلىٰ واحد مما يأتي:

(أ) اسم الجلالة (الله).

(ب) ضمير المتكلم المعظم نفسه،وهو الله ـ تعالىٰ ـ هكذا : (لقاءنا).

(ج) اسم الرب مضافا إلىٰ ضمير المخاطب أو الغائب،هكذا: (ربكم)،(ربهم)،(ربه).

(د) الآخرة، أو اليوم الآخر،أي: لقائهم الآخرة، أو لقاء ما وعد الله في الآخرة.

ويمكن القول بأن لفظ اللقاء، هو لقاء الله تعالىٰ، وما أعده في اليوم الآخر.

---

(١) ينظر:المرجع السابق ١١/ ١١٨.

(٢) ينظر:المرجع السابق ٢٠/ ٩٧.

قال ابن الأثير: المراد بلقاء الله المصير إلىٰ الدار الآخرة، وطلب ما عند الله ، وليس الغرض به الموت لأن كلًا يكرهه ، فمن ترك الدنيا وأبغضها أحب لقاء الله، ومن آثرها وركن إليها كره لقاء الله ؛ لأنه إنما يصل إليه بالموت، و الموت غير اللقاء، ولكنه معترض دون الغرض المطلوب، فيجب أن يصبر عليه، ويحتمل مشاقه حتىٰ يصل إلىٰ الفوز باللقاء[١] .

١- ورد لفظ (تلقاء) في مواضعه الثلاثة منقولا من المصدرية إلىٰ الظرفية، وهذا واضح في موضعي

(الأعراف والقصص)، ولكنه في موضع سورة يونس يحتاج إلىٰ فضل بيان، وقد سبق بيانه.

٢- نلحظ زيادة أحرف (تلقاء) علىٰ (لقاء)، والزيادة في المبنىٰ تدل علىٰ الزيادة في المعنىٰ،

فبيان الجهة أوسع من مقابلة الشيء، فعندما تقول: سرت تلقاء بلدي، أي: جهتها، وهذه واسعة جدا، من حيث المكان والحيز والمسافة، وأما قولك: رجوت لقاء الأمير، أي:مواجها له غير بعيد عنه.

**الغفران – المغفرة :**

الغَفُورُ الغَفّارُ، جَلَّ ثَنَاؤُهُ، وَهُمَا مِنْ أَبنية الْمُبَالَغَةِ، وَمَعْنَاهُمَا السَّاتِرُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ، الْمُتَجَاوِزُ عَنْ خَطَايَاهُمْ وَذُنُوبِهِمْ، يُقَالُ: اللهمَّ اغْفِرْ لَنَا مَغْفرة وغَفْراً وغُفْرانـًا، وَإِنَّكَ أَنت الغَفُور الغَفّار يَا أَهل المَغْفِرة. وأَصل الغَفْرِ التَّغْطِيَةُ وَالسَّتْرُ.

ويدور تركيب (غ ف ر) حول التغطية والستر بقصد الحماية وما إليها[٢].

(١) ينظر: شرح الزرقاني علىٰ موطأ الإمام مالك ،٢/ ١١٧، دار الكتب العلمية.

(٢) ينظر:المعجم الاشتقاقي المؤصل (غفر)٣/ ١٥٩٤.

فالغفران مصدر أصلي كالغفر، والمغفرة مصدر ميمي سماعي، لمجيئه علىٰ وزن (مَفْعِل)بكسر العين، وقياسه بالفتح، وكلا المصدرين( الغفران والمغفرة) يدلان علىٰ الستر والتغطية للذنوب لحماية مرتكبها من العذاب، فقَيْدُ (الحماية) مهم جدا في معنىٰ الغفران، وقد قال الطبري في معنىٰ "الغفران " و " المغفرة "الستر من الله علىٰ ذنوب من غفر له، وصفحه له عن هتك ستره بها في الدنيا والآخرة، وعفوه عن العقوبة – عليه[1].

وقد ورد الغفران مرة واحدة، في قوله تعالىٰ:( وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاغُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) (البقرة/ ٢٨٥)،( غفرانك ) مصدر كالكفران والخسران، والعامل فيه فعل مقدر، تقديره: اغفر غفرانك، قاله الزجاج، وغيره: نطلب أو أسأل غفرانك[2] .

لكن المغفرة وردت ثمانيا وعشرين مرة، وقد اختلف السياق علىٰ النحو الآتي:

أولا- نلحظ أن (الغفران) قد وقع في سياق دعاء المؤمنين، أي في طلب الغفران من الرب جل جلاله.

ثانيا- أن الغفران سؤال العباد ربهم بصفة خاصة، فليس لأحد أن يطلب الغفران من أحد غير الله تعالىٰ.

ثالثا- وقعت المغفرة في سياقات متعددة، ليس من بينها الطلب أو السؤال أو الدعاء، بل جاءت علىٰ النحو الآتي:

في مقابلة العذاب، كما في (البقرة/ ١٧٥)، و(الحديد/ ٢٠)، واقترنت بذكر الجنة، كما في (البقرة/ ٢٢١) و(آل عمران/ ١٣٦،١٣٣)، و(الحديد/ ٢١)، وبالرحمة، كما في(آل عمران /١٥٧،النساء/ ٩٦)، وبالأجر العظيم، كمافي(المائدة/ ٩، والأحزاب/ ٣٥، والفتح/ ٢٩، والحجرات/ ٣)، وبالأجر الكبير، كما في(هود/ ١١، وفاطر/ ٧، ويس/ ١١، والملك/ ١٢)، وبالرزق الكريم، كما في (الأنفال/ ٤،٧٤،

(١) ينظر: تفسير الطبري،٦/ ١٢٨.

(٢) ينظر: تفسير القرطبي،٣/ ٤٢٩.

والحج/ ٥٠، والنور/ ٢٦، وسبأ/ ٤)وبالفضل، كما في(البقرة/ ٢٦٨)، وجاءت المغفرة وعدا من الله للمؤمنين، كما في (محمد/ ١٥)، كما جاءت خبرا عن الله تعالىٰ، كما في (النجم/ ٣٢، والمدثر/ ٥٦).

رابعا- يمكن أن تصدر المغفرة –بمعناها اللغوي لا الشرعي- من المخلوق، كما في قوله تعالىٰ: (قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ)(البقرة/ ٢٦٣).

علىٰ رأي من يفسر المغفرة هنا بتجاوز المتصدق عن المتصدق عليه، أي سترٌ لما وقع من السائل من الإلحاف في المسألة وغيره مما يثقل علىٰ المسئول، وصفح عنه خَيْرٌ للسائل مِنْ صَدَقَةٍ عليه يَتْبَعُها من المتصدق أَذىً له لكونها مشوبة بضرر ما يتبعها وخلوص الأوليين من الضرر، وقيل:يحتمل أن يراد بالمغفرة مغفرة الله تعالىٰ للمسؤول بسبب تحمله ما يكره من السائل أو مغفرة السائل ما يشق عليه من رد المسئول خَيْرٌ للمسؤول من تلك الصدقة[1]، وعلىٰ هذا الأخير فإنها لا تطلق إلا علىٰ الله تعالىٰ.

خامسا- يمكننا القول بأن المغفرة فيها معنىٰ المصدر الأصلي (الغفران) وزيادة، وإذا كان الغفران مطلبَ المؤمنين في دعائهم، فإن المغفرة فضل الله تعالىٰ، وعطاؤه الفياض لعباده.

سادسا- كما أن تعلق المغفرة بالفضل والرحمة والأجر والجنة يوحي بأنها ليست سترا وتغطية للذنوب فحسب، وإنما هي إنعام وتفضل وإكرام، فإذا نظر العبد إلىٰ الذنب سأل الغفران، وإذا طَمِع في كرم الغَفَّار جل جلاله- أُطْعِم المَغفرة، وفرق بين ما يسأله العبد، وما يُسديه الربُّ جل جلاله.

ألم تر إلىٰ ربك كيف منح المسارعين إلىٰ المغفرة والجنة( بالإفراد) المغفرة والجنات( بالجمع)، في قوله تعالىٰ:( وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ) ثم قال عز من قائل:( أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ) (آل عمران/ ١٣٣-١٣٦).

**السُؤْل – السؤال :**

السؤال:مصدر سأل،" سَأَلَ يَسْأَلُ سُؤَالاً وسَآلَةً ومَسْأَلةً وتَسْآلاً وسَأَلَةً[2].

(١) ينظر: روح المعاني ٢/ ٣٤.

(٢) ينظر: لسان العرب (سأل)١١/ ٣١٨.

والمعنىٰ المحوري لتركيب(س أ ل) يدور حول الطلب،سواء أكان تحصيلا لشيء مادي كالصدقة، أم معنويا كالعلم ونحوه[1].

والسُّؤْل، والسُّولُ:اسم مصدر بمعنىٰ ما سأَلتَهُ، فهو طَلَب، أوحاجة، أوأمنية

ورد لفظ (السُؤْل) مرة واحدة، في قوله تعالىٰ:( قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَىٰ)(طه/ ٣٦).

وَالسُّؤْلُ بِمَعْنَىٰ الْمَسْئُولِ، وَهُوَ وَزْنُ فِعْلٍ بِمَعْنَىٰ مَفْعُولٍ كَالْخُبْزِ بِمَعْنَىٰ الْمَخْبُوزِ، وَالْأَكْلِ بِمَعْنَىٰ الْمَأْكُولِ، أَي أُعْطِيت أُمْنِيَّتك الَّتِي سَأَلْتها.

وورد لفظ (السؤال) مصدرا مرة واحدة، في قوله تعالىٰ:( قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ)(ص/ ٢٤).

وَإِضَافَةُ سُؤَالٍ مِنْ إِضَافَةِ الْمَصْدَرِ إِلَىٰ مَفْعُولِهِ، [أي: بسؤاله نعجتك ليضمها إلىٰ نعاجه] وَتَعْلِيقُ إِلىٰ نِعاجِهِ بِ «سُؤَالِ» تَعْلِيقٌ عَلَىٰ وَجْهِ تَضْمِينِ «سُؤَالِ» مَعْنَىٰ الضَّمِّ، كَأَنَّهُ قِيلَ: بِطَلَبِ ضَمِّ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ[2]

ويتضح من السياق القرآني في هاتين الآيتين الكريمتين:أن السؤال هو المصدر بمعنىٰ الطلب، والسؤل هو اسم المصدر بمعنىٰ اسم المفعول أي الشيء المسؤول.

(١) مستفاد من كلام أستاذنا الدكتور جبل (رحمه الله)،ينظر:المعجم الاشتقاقي (سأل)٢/ ١٠٥٤.

(٢)ينظر:التحرير والتنوير. ٢٣/ ٢٣٦، بزيادة ما بين المعكوفتين.

# المبحث الرابع
# أثر السياق في الدلالة الصوتية للمصادر وتحرير الفروق بينها

**زلزال – زلزلة :**

والزلزلة والزلزال: تحريك الشيء، وقد زلزله زلزلة وزلزالا، وقد قالوا: إن الفِعْلال والفَعْلال مطرد في جميع مصادر المضاعف، وزلزل الله الأرض زلزالا، بالكسر، فتزلزلت هي، وقال أبو إسحق في قوله - عز وجل -: إذا زلزلت الأرض زلزالها ؛ المعنىٰ إذا حركت حركة شديدة [١].

ورد (الزلزال) مصدرا في موضعين،هما:

الأول: في قوله تعالىٰ:( هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا )(الأحزاب/ ١١).

وَالزِّلْزَالُ: اضْطِرَابُ الْأَرْضِ، وَهُوَ مُضَاعَفُ زَلَّ تَضْعِيفًا يُفِيدُ الْمُبَالَغَةَ،...وَيُقَالُ: زُلْزِلَ فُلَانٌ، مَبْنِيًّا لِلْمَجْهُولِ تَبَعًا لِقَوْلِهِمْ: زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ، إِذْ لَا يُعْرَفُ فَاعِلُ هَذَا الْفِعْلِ عُرْفًا، وَهَذَا هُوَ غَالِبُ اسْتِعْمَالِهِ قَالَ تَعَالَىٰ: (وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ ) [الْبَقَرَة: ٢١٤] .

وَالْمُرَادُ بِزَلْزَلَةِ الْمُؤْمِنِينَ شِدَّةُ الِانْزِعَاجِ وَالذُّعْرِ لِأَنَّ أَحْزَابَ الْعَدُوِّ تَفُوقُهُمْ عددا وعدة[٢].

الثاني: في قوله تعالىٰ:(إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا)(الزلزلة/ ١).

وَالزِّلْزَالُ: بِكَسْرِ الزَّايِ الْأَوْلَىٰ مَصْدَرُ زَلْزَلَ، وَأَمَّا الزَّلْزَالُ بِفَتْحِ الزَّايِ فَهُوَ اسْمُ وَإِنَّمَا بُنِيَ فِعْلُ زُلْزِلَتِ بِصِيغَةِ النَّائِبِ عَنِ الْفَاعِلِ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ فَاعِلُهُ وَهُوَ اللهُ تَعَالَىٰ.

---

(١) ينظر:لسان العرب (زلل)١١/ ٣٠٨.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير ٢١/ ٢٨٣.

فَالْمَعْنَىٰ: إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالًا.

وَأُضِيفَ زِلْزالَها إِلَىٰ ضَمِيرِ الْأَرْضِ لِإِفَادَةِ تَمَكُّنِهِ مِنْهَا وَتَكَرُّرِهِ[1] .

وورد لفظ الزلزلة مصدرا في موضع واحد، وذلك في قوله تعالىٰ:( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ)(الحج/ ١).

والزلزلة التحريك الشديد والإزعاج العنيف بطريق التكرير بحيث يزيل الأشياء من مقارها ويخرجها عن مركزها، وإضافتها إلىٰ الساعة إما من إضافة المصدر إلىٰ فاعله لكن علىٰ سبيل المجاز في النسبة كما قيل في قوله تعالىٰ: (بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ) [سبأ: ٣٣]؛ لأن المحرك حقيقة هو الله تعالىٰ والمفعول الأرض أو الناس أو من إضافته إلىٰ المفعول لكن علىٰ إجرائه مجرىٰ المفعول به اتساعا[2].

أثر السياق في هذه الآيات الكريمة:

- وقع كل من "الزلزال والزلزلة" للدلالة علىٰ شدة التحريك،سواء في الأشياء أو الأشخاص أو الأحوال.
- ورد الزِّلزال في اضطراب الحال وشدة الابتلاء والخوف الذي وقع فيه المؤمنون الأوائل،أصحاب النبي ﷺ- وهم خيرة الناس بعد الأنبياء- وهذا يشير إلىٰ عظم أجرهم وثوابهم وفضلهم- رضي الله عنهم أجمعين،كما يشير إلىٰ
- اختص لفظ "زلزلة" بالساعة (القيامة)، فأضيف إليها –من إضافة المصدر إلىٰ فاعله المجازي أو إلىٰ مفعوله اتساعا، كما سبق- ولم يُضَف لفظ "زلزال" إلا إلىٰ ضمير الأرض "زلزالها"، وفي ذلك إشارة إلىٰ أن الزلزلة أعم من الزلزال، فزلزلة الساعة لا تحرك الأرض وحدها وإنما تحرك الكون

(١) ينظر: المرجع السابق٣٠/ ٤٩١.

(٢) ينظر: روح المعاني ١٧/ ١١١.

كله،وتحدث اضطرابا لكل شيء، فهذه الساعة التي نضبط بها أوقاتنا سوف تضطرب، وفي سور (التكوير والانفطار والانشقاق) صور من هذه الزلزلة العظيمة الكائنة لا ريب،اللهم لطفا لطفا

- نلحظ ان أصوات (زلزال) تصاعدية –من أسفل إلىٰ أعلىٰ،فالمقطع الأول(زِل) يبدأ مكسورا،والمقطع الآخر(زال) يبدأ مفتوحا ممتدا إلىٰ أعلىٰ، وهو يصور ما يحدثه هذا الحدث الهائل في النفوس من الرهبة والخوف الشديد،الذي عبر عنه القرآن الكريم أبلغ تعبير في قوله تعالىٰ:( وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ)(الأحزاب/ ١٠).
- كما نلحظ أن أصوات (زلزلة)متتابعة،سريعة،بدأت بصوت مفتوح مجهور، وانتهت بالسكون الرهيب الذي يحدثه خروج النفس مع الهاء
- نلحظ وصف الزلزال بالشدة، وهي في الأصل مبالغة في الصلابة والقوة، وقد شعر به المؤمنون في غزوة الأحزاب، ووصف الزلزلة بأنها شيء عظيم، والعظم معناه الضخامة المعنوية، أي: أن زلزلة الساعة أعظم من أي زلزال عرفه الإنسان قبل ذلك، وهو شيء لا يكاد يطاق، وهذا يشير إلىٰ أمرين:

أولهما: في زلزال المؤمنين زلزالا شديدا ترقب الفرج بعد الشدة، وهذا ما وقع للمؤمنين في غزوة الأحزاب، وترقب البعث بعد زلزال الأرض يوم القيامة.

ثانيهما: أن زلزلة الساعة تكون –والله أعلم- في آخر أيام الدنيا وقبل قيام الساعة، وهذا هو الظاهر، فالزلزلة يعقبها الموت، وزلزال الأرض يوم القيامة يعقبه البعث.

- وكما أشار اللفظ بجرسه إلىٰ المعنىٰ، أشار وصفُ الزلزال بالشدة إلىٰ أثره في القلوب، ووصف الزلزلة بأنها شيء عظيم- إلىٰ ضخامة الحدث وهول الموقف.

▪ انْتَصَبَ لفظ "زِلْزالَ" في موضعيه عَلَىٰ الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ الْمُؤَكِّدِ لِفِعْلِهِ إِشَارَةً إِلَىٰ هَوْلِ ذَلِكَ الزِّلْزَالِ، والجملة فعلية في الموضعين؛ للدلالة علىٰ التجدد والحدوث، فلم يستمر هذا الزلزال للمؤمنين في الخندق، كما أن زلزال الأرض ومن فيها يوم القيامة حادث بعد حين من الدهر لا يعلمه إلا الله تعالىٰ.

▪ وقع لفظ "زلزلة" في مطلع جملة اسمية، مؤكدا بحرف التوكيد "إن" وهو اسمها، و الخبر قوله:"شيء عظيم"، والجملة الاسمية تدل علىٰ الثبوت والدوام، وهي علة للأمر بالتقوىٰ؛ وذلك لأن العمل لهذه الساعة يقي الإنسان هولها و فزعها.

**الضلال – الضلالة :**

فَعال وفَعَالة، هذان هما وزنا (ضلال وضلالة)، و قد يؤدي النظر إليهما-من دون السياق-إلىٰ الحكم بأن الضلالة أقوىٰ من الضلال؛ لزيادة التاء، غير أن هذا الحكم لا يلبث أن يتغير إذا نظرنا إلىٰ سياق الآية الكريمة، وإليك البيان:

الضلال والضلالة: ضد الهدىٰ والرشاد ، ضلَلْت تضِل هذه اللغة الفصيحة، وضلِلْت تَضَل ضلالًا وضلالةً هو: من مقابلة الهدىٰ، والضلال: أن لا يجد السالك إلىٰ مقصده طريقا أصلا[1].

العدول عن الطريق المستقيم[2].

والضلالة، بمعنىٰ: الإضاعة، كقوله تعالىٰ: {فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ} [سورة محمد: الآية ٤].

وبمعنىٰ: الهلاك كقوله تعالىٰ: { وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ } [سورة السجدة: الآية ١٠].[1].

(١) ينظر:كشاف اصطلاحات العلوم للتهانوي، ٣/ ١٢٤.

(٢)ينظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب، «ضل»، ٢٩٧.

- قال الجرجاني: الضلالة: فقدان ما يوصل إلىٰ المطلوب، وقيل: هي سلوك طريق لا يوصل إلىٰ المطلوب[٢].

وَالضَّلَالَةُ مَصْدَرٌ مِثْلُ الضَّلَالِ، فَتَأْنِيثُهُ لَفْظِيٌّ مَحْضٌ، وَالْعَرَبُ يَسْتَشْعِرُونَ التَّأْنِيثَ غَالِبًا فِي أَسْمَاءِ أَجْنَاسِ الْمَعَانِي، مِثْلِ الْغَوَايَةِ وَالسَّفَاهَةِ، فَالتَّاءُ لِمُجَرَّدِ تَأْنِيثِ اللَّفْظِ، وَلَيْسَ فِي هَذِهِ التَّاءِ مَعْنَىٰ الْوَحْدَةِ لِأَنَّ أَسْمَاءَ أَجْنَاسِ الْمَعَانِي لَا تُرَاعَىٰ فِيهَا الْمُشَخِّصَاتُ[٣].

وذهب بعضهم إلىٰ أن الضلالة واحدة الضلال، ونفيها أبلغ من نفي الضلال المبين؛ إذ إن نفي الواحدة أبلغ من نفي النوع (وهو الضلال المبين)، و العدول من لفظ الضلال إلىٰ الضلالة لأن نوحا –عليه السلام– أراد نفي النزر القليل من الضلال.

ولله در الإمام الطيبي إذ يقول معلقا علىٰ اختلاف العلماء في بيان وجه ذكر كلمة (الضلالة):

"العجب من هؤلاء الفضلاء كيف يتكلمون بما لا جدوىٰ منه، وطولوا من غير نظر إلىٰ المقام، فإن الزمخشري إنما يتكلم بمقتضىٰ الحال ومطابقة الجواب للسؤال، ولا يعتبر مفردات اللفظ"[٤].

ومعنىٰ كلامه أن النظر إلىٰ دلالة الكلمة وحدها لا يكفي في الحكم عليها، ولابد من مراجعة السياق؛ لتكون النظرة شاملة لمضمون الكلام، وما يحتويه من

---

(١)المعجم الوسيط ١/ ٥٦٣، والمصباح المنير ص ١٣٨.

(٢) ينظر: التعريفات ص ١٢١

(٣) ينظر: التحرير والتنوير٨/ ١٩٢.

(٤) ينظر: حاشية الطيبي علىٰ الكشاف، ٦/ ٤٢٢،الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم،ط/ ١، ١٤٣٤ هـ ٢٠١٣ م.

أغراض و معان، لا سبيل إلىٰ الوصول إلىٰ حقائقها و المراد منها إلا عن طريق السياق.

وورد لفظ الضلال مصدرا ثمانيا وثلاثين مرة، ومنه قوله تعالىٰ:( وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)(آل عمران/ ١٦٤).

وورد لفظ الضلالة مصدرا تسع مرات،وهي كالآتي:

١- قوله تعالىٰ:( أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ )(البقرة/ ١٦).

٢- قوله تعالىٰ:( أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ )(البقرة/ ١٧٥).

٣- قوله تعالىٰ:( أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يَشْتَرُونَ ٱلضَّلَٰلَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ )(النساء/ ٤٤).

٤- قوله تعالىٰ:( فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ )(الأعراف/ ٣٠).

قوله تعالىٰ-علىٰ لسان نوح "عليه السلام":(قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦١﴾)(الأعراف/ ٦١،٦٠).

٥- قوله تعالىٰ:( وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ )(النحل/ ٣٦).

٦- قوله تعالىٰ:( قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَٰنُ مَدًّا)(مريم/ ٧٥).

٧- قوله تعالىٰ:( وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ)(النمل/ ٨١).

٨- قوله تعالىٰ:( وَمَا أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ )(الروم/ ٥٣).

**أثر السياق القرآني في هذه الآيات الكريمة :**

أولا- وقع لفظ "الضلال" في السياقات الآتية:

(أ) الحديث عن الكافرين في الجاهلية (قبل مبعث النبيﷺ ).

(ب) الحديث عن الكافرين والظالمين في الدنيا، ووصف ما هم فيه من ضلال في العبادة والدعاء ودعوة غير الله تعالىٰ .

(ج)الحديث عن حال هؤلاء الكافرين في الآخرة وهم يعذبون في النار.

(د) في دعوة إبراهيم –عليه السلام لأبيه وقومه.

(ه) المقارنة بين الهدىٰ وأهله، والضلال وأهله.

(و) في قصة إخوة يوسف مع أبيهم يعقوب عليه السلام.

(ز) اتهام النسوة لامرأة العزيز أنها في ضلال مبين بسبب حبها لفتاها.

ثانيا- كما وقع لفظ "الضلالة" في السياقات الآتية:

(أ) في الحديث عن المنافقين، ولم يقع لفظ "الضلال".

(ب) في انقسام بني آدم إلىٰ فريق الهدىٰ وفريق الضلال.

(ج) في فريق من أهل الكتاب يعلمون الحق ويكتمونه.

ثالثا- نلحظ ورود "الضلال والضلالة في سياق واحد، فجاء في اتهام قوم نوح له قولهم:( إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ)، وجاء في رد نوح عليهم (قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ)، وخلاصة ما ذكره المفسرون في الجواب علىٰ سر قوله (ضلالة) ولم يقل:(ضلال) أن يقال: الضلالة أدنىٰ من الضلال وأقل،لأنها لا تطلق إلا علىٰ الفعلة الواحدة منه،وأما الضلال فيطلق علىٰ القليل والكثير من جنسه، ونفىٰ الأدنىٰ أبلغ من نفىٰ الأعلىٰ، كأنه قال: ليس بىٰ شيء من الضلال.[1] والله أعلم.

(١) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، ٣/ ٣٧٦.

وذكر البقاعي: أنه لما قذفوه بضلال مقيد بالوضوح، نفىٰ الضلال المطلق الذي هو الأعم، وبنفيه ينتفي كل أخصيّاته بل نفي أقل شيء من الضلال، فقال تعالىٰ مخبرًا عنه: {قال يا قوم} مجددًا لاستعطافهم {ليس بي ضلالة} فنفىٰ وحدة غير معينة، ولا يصدق ذلك إلا بنفي لكل فرد، فهو أنص من نفي المصدر(١).

وقد يقال: أو ليست (الضلالة) أكثر حروفا من (الضلال)، والقياس في مثل هذا أن الأكثر حروفا أكثر في المعنىٰ؟

والجواب من وجهين:

الوجه الأول : أن قاعدة الزيادة في المبنىٰ زيادة في المعنىٰ قاعدة أغلبية، لا مطلقة، فإن (حَذِر) أبلغ من (حاذر) مع زيادة الأخير عليه في الحروف.

الوجه الثاني: أن لفظ (ضلال) جاء موصوفا ب (المبين)، وهذا قيد له، وأما لفظ (ضلالة) فقد ورد مطلقا من دون قيد، والمقيد مع قيده بمنزلة الكلمة الواحدة، وقد عد سيبويه النعت مع منعوته كالكلمة الواحده(٢)، ونفي المطلق أبلغ من نفي المقيد.

رابعا- الضلال أكثر من الضلالة؛ ولذا فإن نوحا عليه السلام نفىٰ عن نفسه أن يكون به شيء من الضلالة ولو يسيرا، فمن الأولىٰ ألا يكون به ضلال مبين كما اتهموه .

خامسا- وقع لفظ الضلال"موصوفا في واحد وثلاثين موضعا، أي بنسبة ٨٢٪ تقريبا، ولم يرد لفظ "الضلالة"موصوفا مطلقا؛ لأنه مؤنث لفظا، ولم يرد عن العرب وصفه.

---

(١) ينظر:نظم الدرر، ٧/ ٤٢٩.

(٢) ينظر:الكتاب ١/ ٤٢١.

سادسا- اختلفت صفات الضلال الواردة في الآيات الكريمة علىٰ ما يأتي:

(أ) الضلال المبين، وهذا أكثره، وقد ورد في إطلاقات ثلاثة:

الأول- وهو أشهرها:الذهاب عن طريق الجنة إلىٰ النار، وعن طريق الهدىٰ إلىٰ الكفر والمعاصي، ومنه قوله:(لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين).

الثاني- الغيبوبة والاضمحلال، ومنه قوله( وما كيد الكافرين إلا في ضلال مبين).

الثالث- الذهاب عن معرفة الشيء، ومنه (إني أراك وقومك في ضلال مبين).

(ب)الضلال البعيد، في الكافر والمشرك يوم القيامة؛ لبعده عن الدنيا واستحالة تدارك ما فات.

(ج)الضلال الكبير، علىٰ لسان خزنة جهنم مخاطبين أهل النار من الكافرين؛ لمناسبة حجم العذاب الذي هم فيه..

(د)الضلال القديم، وهو ما وصف به إخوة يوسف أباهم لما أخبرهم بأنه يجد ريح يوسف؛ لأنهم فهموا أن أباهم رجع إلىٰ إيثار حبه ليوسف كما كان.

سابعا- لم يقع لفظ (الضلال) في سورة النساء إلا موصوفا بأنه ضلال بعيد، وقد ورد ذلك في أربعة مواضع، علىٰ النحو الآتي:

١- قوله تعالىٰ:( أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن
يَتَحَاكَمُوا إِلَىٰ الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا)(النساء/ ٦٠)

وقد قال الطبري بعد أن ذكر سبب نزولها: والآية أعم من ذلك كله، فإنها ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة، وتحاكموا إلىٰ ما سواهما من الباطل[1].

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل(طغىٰ)، ٣/ ١٣٣٢.

٢- قوله تعالىٰ:( إِنَّ اللهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا)(النساء/ ١١٦).

٣- قوله تعالىٰ:( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا)(النساء/ ١٣٦). ٤- قوله تعالىٰ:( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا)(النساء/ ١٦٧).

ونلحظ في هذه المواضع أنهم جميعا بعدوا عن الحق، و حال بينهم وبين الحق ظلمات، بعضها فوق بعض، وعوائق وعقبات، من الهوىٰ والكفر والشرك والصد عن سبيل الله والعدول عن التحاكم إلىٰ القرآن والسنة، فناسب ذلك الحكم عليهم بأنهم قد ضلوا ضلالا بعيدا، ومن كان كذلك فإنه لا يكاد يهتدي.

ثامنا- وقع لفظ (الضلال) في السور المكية أكثر منه في السور المدنية، وذلك مناسب لما كان عليه المشركون من كفر وعناد، في الوقت الذي لم تكن للمسلمين دولة أو قوة تدفع به هذا الضلال، وتستبدل به الهدىٰ والنور، ولما أصبح لهم دولة انتشر الهدىٰ وعم النور، بيد أن هناك بعضَ الناس كالخفافيش يؤثرون الظلام علىٰ النور، والتخبط في الليل بدلا من السير في رابعة النهار، وصدق الله القائل:( أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)(الملك/ ٢٢).

**العِتِيّ- العُتُوّ:**

فالعتو: النبو عن الطاعة، يقال: عتَا يَعتُو عُتواً وعتيـًا، وقيل: هو جمع عاتٍ، وقيل: العاتي: الجاسي(اليابس)[1]، وهذا أنسب من جهة الاشتقاق.

(١) ينظر:المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني(عتو)، ٥٤٦.

وقد عتوت من الكبر فصرت نحل العظام يابسها، يقال منه للعود اليابس، عوت عاتٍ وعاسٍ، وقد عتا يعتو عَتِيًّا وعُتُوّا، وكلّ متناه إلىٰ غايته في كبر أو فساد، أو كفر، فهو عات [١].

و(عتيـًا): علىٰ وزن فعول مثل خروج وجلوس، فقلبت الواو ياء.

ورد لفظ (العتي) مصدرا مرتين، هما:

- في قوله تعالىٰ:( وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا )(مريم/ ٨).
- في قوله تعالىٰ:( ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا )(مريم/ ٦٩).

وورد لفظ (العتو) مصدرا مرتين،هما:

- في قوله تعالىٰ:( بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ)(الملك/ ٢١).
- في قوله تعالىٰ:( لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا)(الفرقان/ ٢١).

مادة (ع ت و) تدل- كما يقول ابن فارس- علىٰ الاستكبار [٢].

والمعنىٰ المحوري للتركيب-كما يقول أستاذنا الدكتور جبل-يدور حول:امتداد الشيء مادة، أو بقاء في صلابة أو تماسك دقيق، ومن الامتداد مع الصلابة جاء معنىٰ التمرد والعصيان-كما تمثل هذا في امتداد العصا مع صلابتها [٣].

وما ذكره الدكتور جبل – هنا أدق وأنسب للتركيب في سياقاته المتعددة، فهو مناسب لتفسير (عتيا) في قوله:( وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا)(مريم/ ٨)،بأنه مأخوذ من عتا الشيخ عتيا:أسن وكبر ومضىٰ أكثر عمره، ومن معاني الصلابة: اليبس، وهو المراد هنا، والله أعلم.

---

(١)ينظر:تفسير الطبري١٦/ ١٤٩.

(٢) المقاييس لابن فارس(ع ت و)٤/ ٢٢٥.

(٣) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل( عتىٰ)٣/ ١٣٩٩.

**أثر السياق في هذه الآيات الكريمة :**

أولا- العتو أشد من العتي؛لأن الواو أثقل وأقوىٰ من الياء، وسياق الآيتين يدل علىٰ بلوغ الغاية.

ثانيا- مناسبة العتي للمعنىٰ في قوله: (وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا )(مريم/ ٨)،ولا يتناسب معه العتو؛لأن السياق يبين أن المراد أسن وكبر ومضىٰ أكثر عمره، و"مِن" المُبَيِّنة تؤكد هذا المعنىٰ، في قوله(من الكبر)، ولا دخل للعتو هنا.

ثالثا- مناسبة (عتيا) بالياء لمقاصد سورة مريم، ولم يذكر إلا فيها، حيث إنه وقع هذا اللفظ في

أنموذجين من البشر، الأول مؤمن، استقبل النعمة والابتلاء بالشكر والصبر والتضرع والدعاء، و الحديث عن زكريا –عليه السلام–و تعجبه من بشارة الله له بغلام و امرأته عاقر، وقد بلغ من الكبر عتيا، وعلاقة ذلك بالرحمة المذكورة في مطلع السورة الكريمة في قوله:﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴾ [مريم: ٢]، فوهبه الله من رحمته يحيىٰ–عليه السلام،لأنه داوم علىٰ الشكر والدعاء.

والآخر كافر، استقبل النعمة والآلاء بالجحود والعناد والكفران، وفي هذا النموذج بيان شدة عتوِّ هؤلاء المأخوذين الذين لم يقابلوا رحمة الله الواسعة بالشكر والإيمان، بل قابلوها بالكفر والنكران، فاستحقوا عذاب الرحمن جل وعلا.

هذا، وقد تكرر اسم (الرحمن) في هذه السورة ست عشرة مرة، وذُكرت صفة (الرحمة) أربع مرات، فأرشد هذا إلىٰ أن من مقاصدها تحقيق وصف الله تعالىٰ بصفة (الرحمن)، والرد علىٰ المشركين الذين كابروا في إنكار هذا الوصف.

رابعا- وصف العتو بالكِبَر، ولم يرد مثل هذا في العتي، وذلك لأنه ورد مسبوقا ببيان نوع العتي، وهو قوله(من الكبر)، و لأن من معانيه الكِبَر، فلا يحسن وصف العتي بالكبر، فيكون كوصف الشيء بنفسه.

خامسا- مناسبة (عتيا) لفواصل الآيات في سورة مريم.

سادسا- نلحظ أن المذكورين في سورة الفرقان أشد مما في سورة مريم، فاختار لهم اللفظ الأثقل والأقوىٰ، وهو العتو؛ وذلك لأنهم في – الفرقان – كانوا أشد كفراً فهم يريدون إنزال ملائكة لا ملك واحد وأن الإنزال يكون عليهم لا إليه كما طلب الآخرون. كما أرادوا رؤية الله – تعالىٰ – ليؤمنوا بالرسول ويصدقوه وإلا فلن يصدقوه وقد أصابهم الاستكبار،وأكد عتوهم بالمصدر ووصفه بالكبر، بخلاف آية مريم (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَىٰ الرَّحْمَنِ عِتِيًّا) [مريم:٦٩]، وخص العتو بكونه "علىٰ الرحمن"،في حين أطلق العتو في الفرقان ولم يقيده بشيء، فهم عتاة علىٰ الرحمن وعلىٰ خلقه، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرىٰ أن العتو علىٰ الله لا ينال منه شيئًا بخلاف العتو علىٰ البشر؛ إذ ما قيمة العتو علىٰ الله وما أثره عليه؟ إنه تجبر مضحك ولذلك جعل أخف العتوين ما كان خاصاً وأثقلهما ما كان عاماً[1].

سابعا- كما نلحظ أن صورة الإنسان العاتي تبدو في الدنيا أقوىٰ منها في الآخرة، إذ إنه –مهما تكن قوته- فهو مسلوب الإرادة والقوة في الآخرة.

وهذا ينطبق تماما علىٰ ما جاء به السياق في الآيات الكريمة، فالعتو في سورة الملك ورد في هؤلاء الكافرين الحريصين علىٰ السيادة وعبادة غير الله تعالىٰ، فلم ينتفعوا بالآيات والزواجر والعظات، بل لجوا في عنادهم وتكبرهم وهروبهم من الدين الحق والاشمئزاز منه.

(١) ينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د.فاضل السامرائي،٥٠،٤٩، بتصرف واختصار.

وفي سورة الفرقان يسوق سؤال هؤلاء المنكرين للبعث: أن تنزل عليهم الملائكة، أو يروا ربهم، ولاشك أن طلبهم هذا كان في الدنيا، وهم في أوج قوتهم.

وفي المقابل نرىٰ صورة هذا العاتي مختلفة يوم القيامة؛ إذ إن حدته قد انكسرت، وكيف لا وقد حشروا جميعا حول جهنم جثيا، فيؤتىٰ من كل جماعة كافرة بأعتىٰ كافر، فيقذف به في النار- عياذا بالله تعالىٰ!

ثامنا- العتي يصلح للخير والشر،والذي يحدد المعنىٰ هو السياق، بخلاف العتو فلم يرد إلا في الشر.

تاسعا- نلحظ اتفاق آيتي الفرقان والملك في رقم الآية(٢١)، وهذه الملحوظة- وإن كانت غير جوهرية- ولكنها مهمة في الإشارة إلىٰ اتفاق السورتين في أمور عديدة، منها ما يتعلق بموضوعنا وهو ذكر(العتو) وأنه في الشر، وهو متعلق بحال العتاة في الدنيا، ومنها اتفاق السورتين في المطلع بقوله (تبارك).

**ذكر-ذِكْرى :**

ذَكَرَ الشيءَ ذَكَرَ ذِكرًا، وذِكرًا ، وذِكرَىٰ، وتَذكارًا: حَفِظَه[1].

الفراء: يكون الذِّكْرَىٰ بمعنىٰ الذِّكْرِ، ويكون بمعنىٰ التَّذَكُّرِ في قوله تعالىٰ: وذَكِّرْ فإن الذِّكْرَىٰ تنفع المؤمنين .

والذِّكْرُ والذِّكْرىٰ، بالكسر: نقيض النسيان[2].

والمعنىٰ المحوري لتركيب(ذكر) يدور حول: قوة الشيء وصلابة مادته بحيث ينفذ[3].

ورد لفظ (الذكرىٰ) اسما ومصدرا ثلاثا وعشرين مرة، منها قوله تذعالىٰ:( وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ

(١) ينظر:المعجم الوسيط (ذكر)١/ ٣١٤.

(٢) ينظر:لسان العرب (ذكر)٤/ ٣٠٨.

(٣) ينظر:المعجم الاشتقاقي المؤصل (ذكر)٢/ ٧١٨.

غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)(الأنعام/ ٦٨).وليس في القرآن مصدر علىٰ وزن (فِعْلىٰ) سوىٰ (ذِكْرىٰ).

وورد لفظ (الذكر) اسما ومصدرا سبعين مرة، منها قوله تعالىٰ:( أَم اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَٰذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ۖ فَهُم مُّعْرِضُونَ)(الأنبياء/ ٢٤).

أثر السياق في هذه الآيات الكريمة:

أولا- نلحظ استعمال اللفظين (الذِّكر والذكرىٰ) بمعنىٰ المصدر وهو التذكر، في بعض المواضع، واستعمالهما-في مواضع أخرىٰ- بمعنىٰ الاسم، وقد يصلح كلاهما للمعنيين، ويؤيد ذينك المعنيين السياقُ أو يرجح أحدهما .

ثانيا- أن التذكير ينتهي بنا إلىٰ التذكر، والتذكر ثمرته الذِّكْر، والذِّكْرَىٰ موطن العبرة نفسُه الباعث علىٰ التذكر، فالتذكير والتذكر مرحلتان في طريق الذكر[1]، وهذا معنىٰ الاسمية فيهما .

**القول – القيل**

قال يقول قولا وقيلا، وقولة ومقالا ومقالة، والقول الكلام علىٰ الترتيب، وهو عند المحقق كل لفظ قال به اللسان تاما كان أو ناقصا، تقول: قال يقول قولا، والفاعل قائل، والمفعول مقول، قال سيبويه: يعني بالكلام الجمل، كقولك: زيد منطلق، وقام زيد،ويعني بالقول الألفاظ المفردة التي يبنىٰ الكلام منها، كزيد من قولك: زيد منطلق، وعمرو من قولك: قام عمرو[2].

وللراغب كلام طويل في هذين المصدرين ملخصه: أن القول والقيل واحد، والقول يستعمل علىٰ أوجه أظهرها أن يكون للمركب من الحروف المبرز بالنطق مفردا كان أو جملة، فالمفرد كقولك: زيد وخرج، والمركب: زيد

(١) ينظر:مجلة البحوث الإسلامية،ص١٦٣،المجلد العدد الثالث عشر – الإصدار: من رجب إلىٰ شوال لسنة ١٤٠٥هـ،بحوث في علوم القرآن،الذكر والنسيان في القرآن الكريم.

(٢) ينظر:لسان العرب(قول)١١/ ٥٧٦.

منطلق، وهل خرج عمرو؟ ونحو ذلك، وقد يستعمل الجزء الواحد من الأنواع الثلاثة، أعنىٰ:(الاسم والفعل والأداة) قولا، كما قد تسمىٰ القصيدة والخطبة ونحوهما: قولا[1].

ونلحظ أن كثيرا من المفسرين يرون أن القيل والقول بمعنىٰ واحد،كالطبري[2] والراغب.

ونحن لا نختلف معهم في ذلك من جهة اللفظين حال الإفراد، ولعل هذا قصدهم.

ولكننا نحاول استنباط الفرق بينهما حال الاستعمال في السياق القرآني، فقد ورد القول مصدرا واسما اثنتين وتسعين مرة في القرآن الكريم، ومنه قوله تعالىٰ:( قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى )(البقرة/ ٢٦٢).

وورد(القيل) مصدرا في أربعة مواضع،وهي كالآتي:

١- في قوله تعالىٰ:( وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا )(النساء/ ١٢٢).

٢- في قوله تعالىٰ:( وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ )(الزخرف/ ٨٨)

٣- في قوله تعالىٰ:( إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا )(الواقعة/ ٢٦).

٤- في قوله تعالىٰ:( إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا )(المزمل/ ٦).

أثر السياق القرآني في هذه الآيات الكريمة:

أولا- نلحظ أن (القَول) قد ذكر كثيرا في القرآن الكريم، وهو عامٌّ في الخير والشر جميعا، فهو أعم من القيل.

ثانيا- ورد (القول) مطلقا من دون وصف أو إضافة، كما ورد مقيدا بصفات كثيرة نحو(القول المعروف، والثابت، والحق، والطيب، والمختلف، والفصل،

(١) ينظر:مفردات في غريب القرآن (قول)، ٦٨٩. باختصار.

(٢) ينظر: تفسير الطبري٩/ ٢٢٨.

والسديد، والبليغ، والكريم، والميسور، واللين، والعظيم، والثقيل)، وورد مقيدا بالإضافة،نحو(قول الزور، قول الحق، قول المؤمنين، قول ربنا، قول إبراهيم، قول رسول كريم، وما هو بقول شاعر، وما هو بقول كاهن، وما هو بقول شيطان رجيم).

ولم يقع (القيل) مقيدا بوصف مطلقا،وورد مقيدا بالإضافة إلىٰ ضمير الرسول ﷺ مرة واحدة، وسواء قرئت بالخفض أم بالنصب ففيه زيادة تنبيه علىٰ كرامته ومنزلته عند الله تعالىٰ.

ثالثا- أرىٰ من خلال سياقات القرآن أنه يستعمل (القيل) في القول التام الجميل، السهل، الحق، المحبب إلىٰ النفوس، و قد جاء القيل (في مواضعه الأربعة) منسوبا إلىٰ الله، و إلىٰ الرسول-ﷺ، وإلىٰ السابقين مِن أهل الجنة، وإلىٰ مَن يقوم الليل، فلست مع الرأي الذي أورده ابن منظور –رحمه الله- والذي صدره بصيغة التمريض:" وقيل: القول في الخير والشر، والقال والقيل في الشر خاصة"[1].

رابعا- وقد يكون (القيل) اسما لا مصدرا، بمعنىٰ اسم المفعول، فهو فِعل بمعنىٰ مفعول كذِبح بمعنىٰ مذبوح، وهذا المعنىٰ يرجحه سياقات الآيات، ولا خلاف في أن(القول) مصدر قال يقول.

**الميراث – التراث :**

الْوَارِثُ: صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ الْبَاقِي الدَّائِمُ الَّذِي يَرِثُ الخلائقَ، وَيَبْقَىٰ بَعْدَ فِنَائِهِمْ، وَاللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَرِثُ الأَرض ومَن عَلَيْهَا، و هُوَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ أَي يَبْقَىٰ بَعْدَ فَنَاءِ الْكُلِّ، ويَفْنىٰ مَن سِوَاهُ فَيَرْجِعُ مَا كَانَ مِلْكَ العِباد إِليه وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

وَرِثَهُ مالَهُ ومَجْدَهُ، وَوَرِثَه عَنْهُ وِرْثًا وَرِثَةً وَوِراثَةً وإِراثَةً. أَبو زَيْدٍ: وَرِثَ فلانٌ أَباه يَرِثُهُ وِراثَةً ومِيراثًا ومَيراثًا. وأَوْرَثَ الرجلُ وَلَدَهُ مَالًا إِيراثًا حَسَنًا. وَيُقَالُ: وَرِثْتُ فُلَانًا مَالًا[2].

(١) ينظر: لسان العرب ( قول) ١١/ ٥٧٣.

(٢) ينظر:لسان العرب(ورث)٢/ ١٩٩.

فالميراث مصدر كالميعاد وأصله مِوْراث، فقلبت الواو ياء لانكسار ما قبلها، والمراد به ما يتوارث[1]، والتُّراثُ: مَا يَخْلُفُهُ الرَّجُلُ لِوَرَثَتِهِ، والتاءُ فِيهِ بَدَلٌ مِنَ الْوَاوِ[2].

ورد (الميراث) مصدرا مرتين:

- في قوله تعالىٰ:( وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾)(آل عمران/ ١٨٠).

- في قوله تعالىٰ:( وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾)(الحديد/ ١٠).

وورد لفظ (التراث) مصدرا في موضع واحد،وهو قوله تعالىٰ:( وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا)(الفجر/ ١٩).

**أثر السياق في هذه الآيات الكريمة:**

أولا- نلحظ أن الميراث منسوب إلىٰ الله تعالىٰ في الموضعين، فهو خاص بالله تعالىٰ وحده، "والكلام جار علىٰ حقيقته ولا مجاز فيه، ويجوز أنه تعالىٰ يرث من هؤلاء ما في أيديهم، مما بخلوا به، وينتقل منهم إليه حين يهلكهم ويفنيهم، وتبقىٰ الحسرة والندامة عليهم، ففي الكلام علىٰ هذا مجاز قال الزجاج: أي إن الله تعالىٰ يفني أهلهما فيبقيان بما فيهما ليس لأحد فيهما ملك فخوطبوا بما يعلمون لأنهم يجعلون ما يرجع إلىٰ الإنسان ميراثا ملكا له"[3].

ثانيا- سياق الآيتين اللتين ورد فيهما لفظ(الميراث) في الحض علىٰ الإنفاق في سبيل الله، والتحذير من البخل وعاقبته الوخيمة.

---

(١) ينظر:روح المعاني ٢/ ٣٥١.

(٢)ينظر:لسان العرب (ورث) ٢/ ١٩٩.

(٣) ينظر:روح المعاني٢/ ٣٥١.

ثالثا- ونلحظ اتفاق التذييل في الآيتين بقوله:( وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ).

رابعا-كما نلحظ أيضا أن السورتين مدنيتان، والحض علىٰ الإنفاق في سبيل الله يتفق وطبيعة الدعوة بعد الهجرة؛ حيث أصبح للإسلام دولة .

خامسا- ورد لفظ"ميراث"مضافا إلىٰ السماوات والأرض، وهذا يدل علىٰ اختصاص الله تعالىٰ به، كما ورد لفظ"التراث"معرفا بأل، ومعمولا للفعل "تأكلون"، وهذا يدل علىٰ تعلقه بالإنسان.

سادسا- لفظ (التراث) منسوب إلىٰ الإنسان، وهو يتفق مع التعريف اللغوي، وهو ما يخلفه الإنسان لورثته.

سابعا- الميراث ما خلفه الإنسان لغيره بعد موته وجرىٰ لأهله، والتراث ما حدث فيه تغيير أو تبديل، بظلم أو إجحاف أو نحوهما، وإبدال الواو تاء إشارة لطيفة إلىٰ معنىٰ التغيير المذكور.

ثامنا- مناسبة صوت التاء في "التراث"لسياق الآية الكريمة؛ حيث إنها مدغمة في اللام قبلها، وهذا الإدغام يتناسب والأكلَ المفهوم من "تأكلون"،كما يتناسب واللام المدغمة بعدها في قوله: "أكلا لما"، وهذا التجانس لا يناسبه لفظ "الميراث". تاسعا- الميراث أعم من التراث وأعظم منه.

## الخاتمـــــــة (أسأل الله- تعالىٰ- حسنها)

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصلاة والسلام علىٰ الهادي البشير، سيدنا محمد ﷺ، وعلىٰ آله وأصحابه أجمعين، و بعد،

فقد طفت في جنان القرآن، وعشت في رحابها، وذقت شيئا من ثمارها، مستظلا بوارف ظلالها، وها أنا ذا أحط رحالي بعد هذه السَفْرة المباركة؛ لأبسط رداء الفضل الذي جاد به المولىٰ علي؛ فأجمل ما فصلته، و أذكر ما توصل البحث إليه، ومن أهم نتائجه ما يأتي:

أولا- الأصل الاشتقاقي للفظ ( السياق) يدور حول معنىٰ (الحدو والدفع)، وما يشير إليه بعد ذلك من معان، فإنما هي تابعة لهذا الأصل، كمعنىٰ التتابع، أو السير والانتظام، أو الترابط، أو الانسجام والتلاؤم، و يعنىٰ بالحدو أو الدفع في السياق – الغرض الذي من أجله سيق الكلام، بهذه الطريقة.

ثانيا- السياق هو الكشاف الحقيقي للفروق الدلالية بين التراكيب، وقد اتضح ذلك في ثنايا البحث .

ثالثا- توصل البحث إلىٰ أهم مظاهر تعدد مصادر الفعل الواحد في القرآن الكريم، وهي ما يأتي:

١- اختلاف الضبط، كالجَهد والجُهد، والرُّشْد، والَّرشَد .

٢- الإعلال والإبدال، كالقول والقيل، و الميراث والتراث.

٣- الحذف والزيادة، كالرحم والرحمة والمرحمة.

٤- والتذكير والتأنيث، كالضلال والضلالة.

٥- والقصر والمد، كالبغي والبغاء.

٦- الخفة والثقل في الأصوات .

رابعا- استنبط البحث أسباب تعدد مصادر الفعل، وهي ما يأتي:

١- بيان الفروق بين المعاني المختلفة للمصادر المتعددة للفعل.

٢- وحمل المصدر علىٰ ضده المخالف لمعناه، كحمل الشقاوة علىٰ السعادة في الوزن.

٣- دلالات الصيغ المختلفة التي جاءت عليها المصادر، كاسمي المرة و الهيئة، والمصدر الميمي.

٤- التخفيف كالإعلال، والإبدال، والحذف.

٥- التأنيث اللفظي.

٦- الزيادة بالمد.

٧- اختلاف اللهجات العربية .

٨- اختلاف القراءات القرآنية.

خامسا- اكتساب المصدر الميمي دلالةً مستقلةً تجاوزت مجرد الدلالة علىٰ الحدث، و لا تُحدد إلا وفق السياق، فهي متغيرة وتحمل فروقا بين صيغة وأخرىٰ.

سادسا- من أهم آثار السياق في تعدد مصادر الفعل ما يأتي:

١- تعميم المعنىٰ أو تخصيصه، كالحساب والحسبان، و الخِيفة بمعنىٰ التَّوَقِّي من التفريط في الأمر، لا بمعنىٰ الفزع أو الرعب.

٢- إطلاق المعنىٰ أو تقييده، كالحل والحلال.

٣- أغلبية القاعدة التي تقرر أن الزيادة في المبنىٰ تدل علىٰ الزيادة في المعنىٰ، والمعيار الحقيقي في ذلك يئول إلىٰ السياق.

٤- المبالغة في المصدرية نحو (تبيان).

٥- اقتران بعض المصادر ببعض الأسماء علىٰ جهة الاطراد، نحو اقتران التبيان بالكتاب، والبيان بالقرآن، ويعد ذلك سبيلا إلىٰ تحديد المعنىٰ، و كشف المغزىٰ.

٦- استعمال أحد المصادر في غرض، واستعمال مصدر آخر في ضد هذا الغرض، ولا سبيل إلىٰ معرفة ذلك إلا عن طريق السياق، نحو الجدل والجدال.

٧- الإشارة إلىٰ الإعجاز العلمي، كما في (الرجع).

٨- الكشف عن التطور الدلالي في استعمال القرآن الكريم للمصدر، نحو استعمال(جَهد) بفتح الجيم – مضافا إلىٰ (أيمانهم) في حق المنافقين وحدهم، والمراد به آكد الأيمان، وأقواها، وأغلظها.

٩- بيان درجات الحدث وقوته عن طريق تعدد المصادر، كما في (الخُسر – والخَسار – والخُسْران).

١٠-موافقة تكرار بعض المصادر لبعض المعاني، كموافقة عدد(الرحمة) لعدد اسم الله (الرحيم)، ولعدد سور القرآن الكريم.

١١-التوسع في استعمال بعض المصادر، كجعل (تلقاء) ظرف مكان بمعنىٰ جهة اللقاء والمقابلة، ونصبه علىٰ الظرفية.

١٢-إضافة بعض القيود لمعنىٰ المصدر، لتجلية المراد منها، نحو إضافة قيد(بقصد الحماية) لمعنىٰ (الغفران)، فهو ستر وتغطية ولكن بقصد الحماية، وهذا القيد يفيد في بيان قيمة المغفرة، كما سبق.

سابعا- اختلاف اللهجات العربية في نطق بعض المصادر، لا يمنع من دراسة أثر السياق فيها، والبحث عن سر وضعها في موضعها.

ثامنا- للدلالة الصوتية أثرها في بيان بعض الفروق بين المصادر، كالفسق والفسوق.

**التوصيات :**

أولا- أوصي الباحثين بدراسة مصادر الأفعال المشهورة علىٰ الألسنة في الشعر والنثر القديم والحديث، والتي لم ترد في القرآن الكريم، والبحث عن سر عدوله عنها إلىٰ غيرها، كعدوله عن (الرجوع) إلىٰ الرجع، والرجعىٰ، وعدوله عن (المجادلة) إلىٰ الجدل والجدال.

ثانيا- تنوع مصادر الفعل في الأحاديث الصحيحة كالصيام والصوم- يحتاج إلىٰ دراسة تستكشف أثر السياق في اختيار المصدر المناسب.

ثالثا- دلالة الإعلال والإبدال في مصادر الأفعال في القرآن الكريم جديرة بالبحث، فليس الأمر قاصرا علىٰ الناحية البنيوية أو الصرفية، وإنما لا يخلو من دلالة.

رابعا- كما أوصي الباحثين بالنظر في تعدد صفات المصادر في القرآن الكريم، و سر كل وصف في موضعه، وأثر السياق في ذلك، كصفات القول، وصفات الأجر، وصفات الفضل، وصفات الفوز، وغيرها.

هذا، ولا أدعي أنني وفيت بحق هذا البحث، أو بلغ حد الكمال، غير أني بذلت جُهدي، ولم أدخر وسعا، ولا وقتا، فواصلت الليل بالنهار، وعزفت عن كثير من مهمات الحياة، لما لاحت لي في الأفق علامات المرور من الثبور إلىٰ النور، فالحمد لله ذي الفضل والإحسان، و أسأله سبحانه وتعالىٰ العفو و الغفران، و أن يرفعنا وينفعنا بالقرآن، والحمد لله أولا وآخرا.

## فهرس المصادر والمراجع


- القرآن الكريم .
- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للبناء الدمياطي، تصحيح/ الضباع، نشر/ عبد الحميد حنفي، ط.د.ت.
- الإتقان في علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطي، تحقيق: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد، لطباعة المصحف الشريف، بالمدينة المنورة، ط/ الأولىٰ، سنة١٤٢٦ه.
- إحكام الأحكام، ابن دقيق العيد، مطبعة السنة المحمدية، بدون طبعة وبدون تاريخ.
- إرشاد الفحول إلىٰ تحقيق الحق من علم الأصول، للشوكاني، ط/ الأولىٰ،دار السلام،ط. ت.
- أساس البلاغة، الزمخشري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط/ الأولىٰ ١٤١٩ه/ ١٩٩٨م.
- الأساس في التفسير، سعيد حوىٰ، دار السلام – القاهرة، الطبعة: السادسة، ١٤٢٤ هـ.
- الأساليب الإنشائية وأسرارها البلاغية في القرآن الكريم، للدكتور صباح دراز، الطبعة الأولىٰ ١٩٨٦م- مطبعة الأمانة.
- أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني- تحقيق: محمود شاكر،مكتبة الخانجي،ط/ ١٩٩١م.
- الإعجاز البياني للقرآن للدكتورة عائشة عبد الرحمن، ط/ ٢، دار المعارف.
- إعجاز القرآن للباقلاني، تحقيق: السيد صقر،ط.ت.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفىٰ صادق الرافعي، تحقيق: عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، ط/ ١ لسنة ١٩٩٧م.
- إعراب القراءات الشواذ، للعكبري، تح/ محمد عزوز، نشر مكتبة عالم الكتب، ط/ ١٩٩٦،١م.
- إعراب القرآن للنحاس، تح/ زهير غازي،م مطبعة العاني، بغداد ١٩٧٧م.
- الإيضاح في علوم البلاغة، القزويني، ط/ دار إحياء العلوم، بيروت، ط/ الرابعة ١٩٩٨م.

- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، تح/ صدقي جميل، دار الفكر، بيروت، ط: ١٤٢٠هـ
- البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تح/ محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسىٰ البابىٰ الحلبي وشركائه، ط/ ١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م
- تاج العروس من جواهر القاموس، للزَّبيدي، مجموعة من المحققين، دار الهداية، د.ت.
- التحرير والتنوير =«تحرير المعنىٰ السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس: ١٩٨٤ هـ.
- التذكرة في القراءات الثمان، لابن غلبون، تح أيمن رشدي سويد، نشر الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، بجدة، ط/ ١٩٩١، ١م.
- تفسير الآلوسي =روح المعاني روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الآلوسي، تح/ علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت،ط/ ١، ١٤١٥ هـ .
- تفسير البغوي، تح/ محمد النمر، ومن معه، دار طيبة للنشر والتوزيع ط/ ٤، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- تفسير ابن كثير= تفسير القرآن العظيم، تح: سامي سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع،ط/ ٢، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
- تفسير الرازي مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط/ ٣، - ١٤٢٠ هـ.
- تفسير الزمخشري= الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت،ط/ ٣، - ١٤٠٧ هـ.
- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري، تح/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- التفسير القرآني للقرآن، عبد الكريم يونس الخطيب، الناشر: دار الفكر العربي، القاهرة.
- تفسير القرطبي= الجامع لأحكام القرآن ، تح/ أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، ط/ ٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

- تفسير المراغي، مطبعة مصطفىٰ البابىٰ الحلبي وأولاده بمصر، ط/ ١، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة،ط/ ١، د.ت.
- التقريب والبيان في معرفة شواذ القرآن، للصفراوي.
- تهذيب اللغة، الأزهري، دار إحياء التراث العربي – بيروت،ط/ ١، ٢٠٠١م.
- التيسير في القراءات السبع، لأبي عمرو الداني، تح: اوتو تريزل، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، ط/ ٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م
- الجدول في إعراب القرآن لكريم، محمود بن عبد الرحيم صافي، دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، ط/ ٤، ١٤١٨ هـ.
- حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَىٰ تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِىٰ وكِفَايةُ الرَّاضِىٰ عَلَىٰ تفْسيرِ البَيضَاوي، للشهاب الخفاجي، دار صادر – بيروت، ط.د.ت.
- حاشية الطيبي علىٰ الكشاف،المسماة: فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، أشرف علىٰ إخراجه: د. محمد عبد الرحيم، ونشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم،ط/ ١، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م
- حاشية محيي الدين شيخ زاده علىٰ تفسير البيضاوي، صححه محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، ط.د.ت.
- الحدود في علم النحو، لأحمد بن محمد البجائي ،تح: نجاة نولي، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: العدد ١١٢ - السنة ٣٣ - ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني، عبد القاهر الجرجاني، تح/ ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية- الدار النموذجية، الطبعة: الأولىٰ، د.ت.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، للسهيلي (ت: ٥٨١هـ) دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الأولىٰ،١٤١٢ هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، الشيخ الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض،ط/ الأولىٰ،١٩٩٥.

- شذا العرف في فن الصرف، للحملاوي، نصر الله عبد الرحمن، مكتبة الرشد الرياض، د.ت.
- شرح المفصل، لابن يعيش، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط/ ١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، نشوان بن سعيد الحميرىٰ اليمني، تح/ د حسين العمري، ومن معه، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، ط/ ١، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- الشوارد، للحسن الصغاني، تح/ مصطفىٰ حجازي، مجمع اللغة العربية، بمصر،ط / ١، ١٩٨٣ .
- الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر،ط.د.ت.
- الكافي في القراءات السبع، للرعيني، نشر مكتبة مصطفىٰ البابي الحلبي،١٩٧٩ه/ ١٩٥٩م.
- كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد، تح/ شوقي ضيف، دار المعارف،مصر،ط/ ٢، ١٤٠٠هـ.
- كتاب العين للخليل، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- كتاب المصاحف للسجستاني، نشر المطبعة الرحمانية بمصر، ط/ ١٣٥٥،١ه/ ١٩٣٦م.
- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها، لمكي بن أبي طالب القيسي، تح/ محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة،ط/ ١٩٨١،٢م.
- الكشف والبيان للثعلبي،٦/ ١٣٩، تح، بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان،ط/ ١، ١٤٢٢، هـ - ٢٠٠٢ م.
- لسان العرب ،لابن منظور، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية"، للسفاريني، مؤسسة الخافقين – دمشق، سنة النشر: ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، لأبي الفتح عثمان بن جني، وزارة الأوقاف-المجلس الأعلىٰ للشئون الإسلامية، ط/ ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.
- المحرر الوجيز١/ ٥٢، تح/ عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية – بيروت،ط/ ١، - ١٤٢٢ هـ
- مختصر في شواذ القرآن- ابن خالويه، من كتاب البديع، نشره براجستراسر، ط/ المطبعة الرحمانية ١٩٣٤م.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط/ ١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي،الناشر: المكتبة العلمية - بيروت.
- معاني القرآن للفراء، تح/ محمد علي النجار وآخرين، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٥٥-١٩٧٢.
- معاني القرآن وإعرابه للزجاج، تح.عبد الجليل شلبي،ط/عالم الكتب بيروت،ط/ ١٤٠٨،١ه/ ١٩٨٨م.
- المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، للدكتور محمد حسن جبل،مكتبة الآداب، ط/ ١،٢٠١٠م.
- معجم الصحاح = تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، تح/ أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت،ط/ ٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الجيل- بيروت، ط .د.ت.
- مقاييس اللغة، لابن فارس، تح/ عبد السلام هارون، دار الفكر،عام ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- المنتخب من تفسير القرآن الكريم،لمجموعة من علماء الأزهر،المجلس الأعلىٰ للشؤون الإسلامية، مصر،طبعة مؤسسة الأهرام،ط/ ١٣١٤١٦ه/ ١٩٩٥م.
- النحو الوافي، عباس حسن، ، دار المعارف، الطبعة الخامسة عشرة، ط.د. ت.
- النشر في القراءت العشر، لابن الجزري، مراجعة الضباع، نشر المكتبة التجارية بمصر.
- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، دار الكتب العلمية. بيروت، ط/ الأولىٰ ١٩٩٥م.
- نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق: محمدعبدالمنعم خفاجي، ط/ دار الكتب العلمية،بيروت،ط.ت.

## فهرس الموضوعات


| الموضوع | الصفحة |
|---|---|
| المقدمة | ١٠٦ |
| التمهيد | ١٠٨ |
| مفهوم السياق و أهميته | ١١٣ |
| مفهوم المصدر والاسم واسم المصدر والمصدر الميمي | ١١٣ |
| المبحث الأول :أثر السياق في توسيع المعنى وتضييقه | ١١٦ |
| المطلب الأول :أثر السياق في تخصيص العام من المصادر المتعددة للفعل الواحد | ١١٨ |
| الأمن – الأمنة | ١١٨ |
| البغي – البغاء | ١٢١ |
| بيان – التبيان | ١٢٨ |
| الجدل – الجدال | ١٣٢ |
| الحساب – الحسبان | ١٣٦ |
| خوف – خيفة | ١٣٨ |
| الرجع – الرجعى | ١٤٣ |
| الرشد – الرشد – الرشاد | ١٤٨ |
| الفسق – الفسوق | ١٥١ |
| النشر – النشور | ١٥٤ |
| المطلب الثاني : أثر السياق في دلالة الإطلاق والتقييد لمصادر الفعل الواحد. | ١٥٨ |
| الحل – الحلال | ١٥٩ |
| الخلد – الخلود | ١٦٣ |
| المبحث الثاني : أثر السياق في تنوع دلالة المصادر. | ١٦٦ |
| المطلب الأول : تنوع دلالة ما اتفق حروفا واختلف ضبطا | ١٦٦ |
| جهد – جهد | ١٦٦ |
| الحج – الحج | ١٧٠ |
| نِعْمة - نَعْمة | ١٧٣ |
| المطلب الثاني : زيادة المصادر لزيادة المعنى | ١٧٦ |
| الخسر – الخسار الخسران | ١٧٦ |
| المبحث الثالث :أثر السياق في تحديد معاني الصيغ في المصادر المتعددة. | ١٨٢ |
| البناء – البنيان | ١٨٢ |

ثواب – مثوبة ١٨٦
الحياة – الحيوان ١٩٠
الرحم – الرحمة – المرحمة ١٩٢
الصيام – الصوم ١٩٤
الطغوى – الطغيان ١٩٨
لقاء – تلقاء ٢٠١
الغفران – المغفرة ٢٠٥
السؤل – السؤال ٢٠٧
المبحث الرابع: أثر السياق في الدلالة الصوتية للمصادر، وتحرير الفروق بينها ٢٠٩
زلزال – زلزلة ٢٠٩
الضلال – الضلالة ٢١٢
العتي – العتو ٢١٨
ذكر – ذكرى ٢٢٢
القول – القيل ٢٢٣
الميراث – التراث ٢٢٥
الخاتمة ٢٢٨
فهرس المصادر والموضوعات ٢٣٢